

الأعلام من الأدباء والشعراء



أُمُّ رُوَيْمٍ الْقَيْسِيَّةُ

الملك الضليل

إعداد
محمّد رضا مروّة
ماجستير في اللغة العربيّة وآدابها

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الأعلام من الأديباء والشعراء

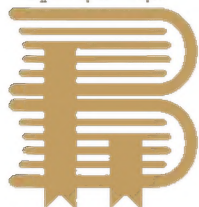
أَمْرُؤُ الْقَيْسِ

الملك الضليل

إعداد
محمد رضا مروءة
ماجستير في اللغة العربية وآدابها

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

شبكة كتب الشيعة



shiaabooks.net
رابطہ پیدیل < mktba.net

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

توزيع: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
رقم: ١١/٩٤٢٤ ، تلخس : 41245 Le ، Nasher
هاتف : ٨١٥٥٧٣ - ٣٦٦١٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تناول امرأ القيس بالدراسة أدباء وعلماء من التاريخ القديم والحديث، وأفاضوا في تحليل شعره، ودراسة آثاره. وكانت هناك آراء مختلفة ومتضاربة، حتى ظن البعض وشكك بصحة ما وصلنا من أدب جاهلي.

لكن دراستنا أخذت بعين الاعتبار أثراً أدبياً هو - ديوان امرئ القيس - وحاولت تبسيط الدراسة، وعدم الغوص في خلاصات النقد ووجهات نظرهم إلى التراث، الذي لا بد منه كي نستمر ونبقى، لأننا بدوننا نكون كمن يمشي في المجهول، ويسير إلى الهاوية.

كانت الصعوبة في التبسيط لأن الآراء كثيرة، والانجاسات مختلفة ومتضاربة. لكن الذي ساعدنا، تلك المسؤولية تجاه

الأجيال المتعطشة لمعرفة تراثها وتاريخها فحملنا أنفسنا وسرنا
متسلحين بإيمان كبير بالعلم والبحث، للوصول إلى الحقيقة
وآخذين سنداً آراء السابقين واللاحقين. وارتكزنا على دراسات
أنارت لنا ما ظلم في طريق العلم. وسهلت عندنا الكثير من
الصعاب. حتى وصلنا إلى أغراض وأهداف نتمنى أن تكون
صائبة أو شبه صائبة. لأن الأعمال مهما بلغت لن ترقى إلى درجة
الكمال، لأن الكمال لله وحده، ولا يشكل عملنا إلا نقطة في بداية
سطر الحياة، وموجة من أمواج البحر الهادر. إذ يمكن أن يكون
كنفس الإنسان التواق إلى الكشف والمعرفة، مع تحمل العناء
والمعاناة للوصول إلى السمو والرفعة.

ومهما حاولنا - في هذه الكلمات القليلة - فإننا نقصر عن
كشف ما نريد. وندع القارئ الكريم، للولوج، للإبحار في
طيات الدراسة، ليكتشف بنفسه روعة شعر الأسلاف، وجميل
القول عند امرئ القيس.

النبطية - ١٧ - ٩ - ١٩٨٨

محمد رضا مروه

العصر الجاهلي

هو الحقبة الزمنية التي سبقت ظهور الإسلام. وسُمِّيَ جاهلياً بسبب ما فشا فيه من الجهل وعبادة الأوثان. وجاءت تلك التسمية في القرآن الكريم «أفحكم الجاهلية يبغون». وكذلك وردت التسمية في سورة الأعراف «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين». ووردت كذلك في شعرهم، وفي معلقة عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ويحدد الباحثون تلك الحقبة بالزمن الذي تكاملت للغة العربية خصائصها العامة، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي. وهذا ما يحدده الجاحظ في كتاب الحيوان بقوله «أما الشعر العربي، فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلhel بن ربيعة. . . فإذا استظهرنا

الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام .» .

ويمكن تسمية الفترة الزمنية قبل هذا التحديد (١٥٠ - ٢٠٠) عاماً، بالجاهلية الأولى التي لم يصلنا من أخبارها سوى ما جاء في القرآن الكريم عن عاد وثمود، وطسم وجديس وجرهم .

وينبغي أن ندرك أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب .

أما الجاهلية الثانية، فهي الفترة الزمنية التي تمتد من (١٥٠ - ٢٠٠) سنة قبل مجيء الإسلام . أي هي الفترة التي تقع بين السنة ٤٥٠ والسنة ٦١٠ م . وقد تركت لنا آداباً وأخباراً، يصح أن نثق بقسم غير قليل منها . أما مسرحها فكان القسم الشمالي من شبه جزيرة العرب .

ويختلف عرب الجاهلية الثانية عن عرب الجاهلية الأولى، لغة وديناً وأدباً وخلقاً . وكانوا أهل تمدن وحضارة . وأهم أقطارهم :

١ - الحجاز : وهو قطر فقير، مياهه قليلة، وأرضه جدداء، وحرارته شديدة . من أشهر مدنه - مكة، ويشرب (المدينة) والطائف .

٢ - نجد : الطف المناطق، فيه واحات ومراع يجودها الغيث .

مناخه أفضل وأصح مناخات الجزيرة العربية . وطبيعته على قسط وافر من الجمال . ولقد تغنى الشعراء بهوائه ومناظره الخلابة ، فكثرت على ألسنتهم ذكر الصبا^(١) والخزامى والعرار^(٢) . ويعتبر هذا الإقليم موطن معظم الشعراء الجاهليين .

٣ - تهامة : وهو قطر منخفض غائر ، شديد الحرارة ، وطبيعته قاسية .

ونجد إلى جانب هذه المناطق والأقطار عدداً من الصحارى الرملية ومن الحرات وهي صحارى رملية متراصة الأطراف تلين حيناً ، وتصلب حيناً .

وظهر في هذا العصر إمارات أهمها :

١ - إمارة الغساسنة التي حالفت البيزنطيين .

٢ - إمارة المناذرة (أو الحيرة) في العراق وكانت موالية للفرس .

٣ - إمارة كندة : وكانت تدين بالولاء لملوك اليمن الحميريين .

ويقسم المجتمع الجاهلي إلى قسمين كبيرين :

١ - البدو : ومنهم القبائل الشمالية . التي تقسم بدورها إلى

قسمين :

(١) الصبا : ريع شرقية تهب على نجد ، لطيفة باردة .

(٢) الخزامى والعرار : نوعان من الزهور رائحتهما زكية .

أ - عدناني مضري .

ب - قحطاني يماني .

٢ - الحضر: من أهم حواضرهم - مكة - التي وصفها القرآن الكريم: بسواد غير ذي زرع . وهي بلد التجارة والقوافل ، ومن أهم المراكز الدينية في الجزيرة العربية . وأهم قبائلها - قريش - أسياذ الجزيرة . وقد وصفهم ابن قتيبة بقوله : « أهل مكة لم يؤدوا في الجاهلية إتاوة قط ، ودانت لهم خزاعة وثقيف ، وعامر بن صعصعة . وفرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الجمل إذا دخلوا الحرم . وهم بعد أعز العرب ، يتأمرون عليهم قاطبة . كل ذاك يؤكد مكانة قريش ، وزعامتها العرب ، فهي بيت تجارتهم ، وبيت كعبتهم المقدسة » . ومن المدن المهمة أيضاً - الطائف - جدة - ويثرب (المدينة) .

أيام الجاهلية :

كانت حياة العرب في الجاهلية تقوم على الحرب والقتال المستمر . حتى يتصور الباحث أن حياتهم كانت حروباً مستمرة . وكانت تلك الحروب - الأيام - تسمى غالباً بأسماء البقاع والأبار التي نشبت فيها . وهي كثيرة جداً ولكن أهمها :

١ - يوم خزار : بين ربيعة واليمن من مذحج .

٢ - حرب البسوس : بين قبيلتي بكر وتغلب . حدثت في أواخر

القرن الخامس الميلادي . وكان سببها اعتداء كليب سيد تغلب على ناقة للبسوس خالة جماس بن مرة سيد بني بكر . واستمرت كما يقال أربعين عاماً .

٣ - داحس والغبراء : كانت في أواخر العصر الجاهلي . وكان الرهان بين سيدي عبس وذبيان : قيس بن زهير ، وحذيفة بن بدر على أفضلية السباق بين الفرسين داحس والغبراء .

وبقيت الحرب طويلاً إلى أن تدخل سيدان من ذبيان هما - هرمة بن سنان - والحارث بن عوف المرّي ، فتحملاديات القتلى .

الأحوال الاجتماعية :

كانت القبيلة في الجاهلية تتألف من طبقات ثلاث :

١ - أبناء القبيلة : الذين يرتبطون بالحسب والنسب وعلاقة الدم والقربى وهم عمادها وقوامها .

٢ - العبيد : وهم الرقيق الآتي من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة .

٣ - الموالى : وهم العتقاء ، يدخل فيهم الخلعاء ، ومنهم طائفة الصعاليك المشهورة .

وأول ما يتمثل في الحياة القبلية في العصر الجاهلي ، التضامن الذي أحكم عراه ، حرصهم على الشرف والمروءة .

والحلم والكرم والوفاء وحماية الجار وسعة الصدر، والعفو عند المقدرة.

والقبيلة هي الوحدة الاجتماعية ضمن النظام القبلي السائد. ولا مكان للفرد والتمرد فيه. إذ كان على الفرد أن يكون جزءاً لا يتجزأ من هذه القبيلة، لا رأي له، ولا يمكن أن يتناول على التقاليد والعادات والأعراف، التي كانت أقوى من القوانين والدساتير حسب مفهوم العصر الحديث. والفرد بالنهاية وجد لخدمة المجموع-القبيلة- وهو نافع للكل، ينتصر لأبناء قومه مهما تكن حالهم:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
لنائبات على ما قال برهانا
وقيل في موضع آخر:

وما أنا إلا من غزية إن غوت
غويت، وإن ترشد غزية أرشد.

وكانت علاقة القبائل ببعضها، علاقة عدا، تغير الواحدة على الثانية فتغنم مالها، وتسبي نساءها، وتعود الأخرى فتربص بها الدوائر وتنتظر الظروف لتغنم منها:

يغار علينا واترين فيُشتفى
بنا إن أضبنا أو نغير على ونر^(١)

(١) الواتر: القاتل. الموتور قتل له قاتل فلم يأخذ بدمه.

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا
فما ينقضي إلا ونحن على شطر

وكان للصراعات تأثير كبير على حياة العرب السياسية، إذ أنهم لم يأتلفوا تحت مبدأ سياسي موحد وتقسّموا بين مواليين بين الدول الكبرى التي كانت تقيم إمبراطوريات حول الجزيرة العربية، فوالى الفساسنة الروم، والمناذرة الفرس. وكندة كانت تتحالف حسب مصالحها. وبقيت قبائل البدو الرحل تدين لشيخ القبيلة بكل ما يصدره.

أضف إلى ذلك أن عرب الجزيرة عرفوا ديانات مختلفة، فكان منهم النصارى في نجران وبلاد اليمن، وفي الشام موطن الفساسنة، وفي الحيرة وبعض أجزاء الحجاز، أما اليهود فكانوا في اليمن ومدن خيبر ويثرب وتيماء. والوثنية كانت هي الطاغية في جزيرة العرب، وكانت تُعبد الأصنام والأوثان. والأوثان كانت مصورة منها - مناة - والعزى واللات. وكانت الكعبة مقدسة عند الوثنيين يحجون إليها في مواسم معينة وفيها أصنامهم ومنها: هبل: المصنوع من العقيق على صورة إنسان. وإلى جانب هذه الديانات، كانت في بلاد العرب جماعة يسمون - الأحناف - الذين يرجعون إلى ملة إبراهيم الخليل. وهي تقوم على الإيمان بالله وباليوم الآخر والقضاء والقدر.

أما الصابئة، فهم عبدة الكواكب والنجوم، أهم

مدنهم - حرّان - وما بين النهرين . والدهرية هم القائلون : لا يهلكنا إلا الدهر .

بالرغم من هذا كله تفشت في المجتمع الجاهلي أمراض كثيرة منها : تفشي الخمر واستباحة النساء والميسر ، وقانون الأخذ بالثأر التي ساد في ذلك المجتمع .

أما المرأة فإننا نلاحظ نوعين من النساء عندهم :

١ - إماء : كنّ في منزلة دانية . ومنهن القينات في الحوانيت والخمارات . كما كان منهن جوار يخدمن الشريفات .

٢ - الحرة : كانت في منزلة رفيعة تقوم بطهي الطعام ونسج الثياب وإصلاح الخباء . وهناك الشريفات المخدومات ، فإنه كان يقوم لها على هذه الأعمال بعض الجوّاري . وكانت منزلتهن سامية رفيعة .

وكانت النساء تخرج مع الرجال إلى الحرب . وكن ينشدن الأشعار والأناشيد الحماسية ، لإثارة الحمية عند الرجال المقاتلين . والمرأة لم تكن مهملة كما يظن البعض بل كان لها قدرها عندهم . أما قضية الوأد التي نسمع عنها ، فإنها كانت وحدثت عند بعض أجيال القوم وقساتهم ، الذين كانوا يخشون من الفقر والسبي إذ كان سباؤهن كثيراً في الجاهلية ، وكانوا يعدون ذلك سُبّة ما بعدها سبة .

أسواق العرب :

١ - سوق عكاظ : كانت أكبر أسواقهم ، ولم تكن سوق تجارة فحسب ، بل كانت سوقاً للخطابة والشعر وكانت أشبه بمؤتمر كبير للعرب فيه يجتمعون وينظرون في شؤونهم الحياتية . وإلى جانب عكاظ وبالقرب منه كان سوق ذي المجاز .

٢ - دومة الجندل .

٣ - سوق المربد في العراق .

بالإضافة إلى هذه الأسواق ، كانت هناك أسواق - خيبر ، وسوق الحيرة وسوق صُحار ، وسوق المشقر ، وسوق صنعاء وعدن ونجران . وكان لكل سوق من هذه الأسواق وقت معلوم تعقد فيه .

أما معارفهم فتتلخص ببعض العلوم القائمة على الملاحظة والتجربة ولم يستفد عرب الجاهلية من علوم الأمم والحضارات التي حالفوها . وكانت علومهم محدودة لم يخطوا فيها خطى واسعة في طريق الحضارة والتقدم ، فقد كان عندهم علم بالزراعة وهندسة إرواء الأرض وإقامة المدن ، ولم يكن عندهم ثقافة ذات معالم بيّنة .

وبالرغم من اتصال القبائل الشمالية بالحضارات الفارسية ، والبيزنطية ، واحتكاكهم بديانات مختلفة فإن ذلك كان يجري ضمن حدود ضيقة .

وكانت لهم معرفة بعلم النجوم ومطالعها، وأنوائها، وأمطارها يقول الجاحظ: «وعرفوا الأنواء، ونجوم الاهتداء لأن من كان بالصحاصح الأماليس^(١)، حيث لا أمانة ولا هادي مع حاجته إلا بعد مشقة، مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤديه^(٢)، ولحاجته إلى الغيث، وفراره من الجذب، وضنه بالحياة، اضطرت الحاجة إلى تعرف شأن الغيث، ولأنه في كل حال يرى السماء، وما يجري فيها من كواكب ويرى التعاقب بينها، والنجوم الثابت فيها، وما يسير منها مجتمعاً وما يسير منها فardاً، وما يكون منها راجعاً ومستقيماً، وسئلت أعرابية فقيل لها: أتعرفين النجوم؟ قالت: سبحان الله أما أعرف أشباحاً وقوفاً كل ليلة». ويقول صاعد بن أحمد المتوفى سنة ٤٣٥ هـ «كان للعرب معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغايها، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدرب في العلوم».

وبهذا القياس كانت معارفهم الطبية، فقد عرفوها بالتجربة مثل: الكي بالنار وفوائد بعض الأعشاب والنباتات. ويقول ابن خلدون في ذلك: «للبادية... طب بينونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثة عن مشايخ الحي

(١) الصحاصح: الأرض المستوية. الأماليس: التي ليس بها ماء ولا شجر.

(٢) يؤديه: يعينه.

وعجائزه، وربما يصح منه البعض، إلا أنه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج. وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره. ومن أهم معارفهم الطبية معارفهم البيطرية، خاصة فيما اتصل بالخيول والإبل.

وهذه العلوم جميعها علوم أولية، تقوم على التجربة الناقصة، ولا تؤسس على قاعدة ولا على نظرية «فهم» في جمهورهم بدو، ليسوا أصحاب علم ولا نظر عقلي مؤسس على أسلوب علمي.

وكل هذا يدل على أن التسبب العقلي عندهم كان ضعيفاً، وأنهم كانوا لا يحسنون ربط المسببات بأسبابها ربطاً محكماً؛ وهذا طبيعي فقد كانوا في طور البداوة، ولم يفهموا الارتباط بين العلة والمعلول.

وأهم ما يلفت نظر الباحث في تلك الفترة - اللغة - وتطورها، الذي نراه في الشعر الجاهلي، وفي المعلقات خاصة. واعتمدوا في ذلك على الرواية. ونشأت عندهم طبقة من الرواة. وكانوا ينشئون شعرهم إنشاداً ومنهم من كان يعد قصيدته في حَوَل أو أقل، ويردها في ذاكرته ثم ينشدها، ويحملها الناس عنه. وفي هذا يقول الجاحظ «كل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام.. فما هو إلا أن يصرف (العربي) وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي يقصد، فتأتيه المعاني أرسالاً (أفواجاً) وتثال عليه الألفاظ انثيالاً، ثم لا يقيده على نفسه».

والشعر أنواع هي : القصصي ، والتعليمي ، والغنائي ،
والتمثيلي . والشعر الجاهلي أكثره من الشعر الغنائي الذي يصور
نفسية الشاعر وعواطفه وأفراحه وأحزانه . وفيه المدح والهجاء
والغزل والوصف والثناء . وكل هذه الموضوعات تتصل بالغنائية
وينفسية الشاعر نفسه . وأول ما يلفت النظر على معاني الشعر
الجاهلي ، أنها معان واضحة بسيطة «ليس فيها تكلف ولا بعد ولا
إغراق في الخيال سواء حين يتحدث عن أحاسيسه أو حين يصور
ما حوله من الطبيعة ، فهو لا يعرف الغلو ولا المغالاة ، ولا المبالغة
التي قد تخرج به عن الحدود المعتدلة» .

من هنا كان شعرهم وثيقة لمن يريد أن يعرف حياة الجاهليين
وحياتهم . والملاحظ أيضاً أن القصيدة الطويلة عندهم لم تكن
ترتبط بموضوع واحد ، بل تجمع طائفة من الموضوعات
والعواطف ، لا تظهر بينها صلة ولا رابط . فهي مجموعة من
الخواطر يجمع بينها الوزن والقافية . ومع هذا فإن الروح القصصية
عندهم تبدو واضحة خاصة في بعض المعلقات وفي شعر جماعة
الصعاليك .

حياة امرئ القيس

(؟ - ٥٦٥ م)

حامل لواء الشعراء، وأول من وقف، واستوقف، وبكى، واستبكى، وذكر الحبيب والمثل هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ابن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع^(١) بن معاوية بن كندة.

وقيل إن اسمه، حُنْدُج بن حُجْر^(٢)، وامرؤ القيس^(٣). وبهذا الاسم اشتهر، وعرفته الناس قديماً وحديثاً.

ويلقب بالملك الضليل، ويكنى أبا زهب، وأبا زيد، وأبا الحارث وذا القروح^(٤) وإياه عنى الفرزدق بقوله :

(١) مرتع بسكون الراء وكسر التاء. ذكره ابن مأكولا وابن الكلبي وقال: سُئِيَ بذلك لأنه كان يقال له: أرتعنا فيقول: أرتعكم أرض كذا وكذا.

(٢) الحندج: الرملة الطيبة تنبت نباتاً طيباً.

(٣) امرؤ القيس: رجل الشدة.

(٤) أبو الحارث: كنية الأسد. وذا القروح: مأخوذ من قوله :

وبدلت قرحاً داسياً بعد صحة
لعل منابنا تحولن أبؤس

وهب لي القصائد لي النوابع إذ مضوا
وأبو يزيد وذو القروح وجرول^(١)

وأمه هي فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب
ومهلل^(٢) ابني ربيعة التغلبين . ولم يثبت المؤرخون والباحثون
سنة مولده بدقة ، ويظن أنها كانت حوالي سنة ٥٠٠ م بينما
يقول لويس شيخو : «إنها كانت سنة ٥٢٠ للمسيح في نجد» .
وقيل « إنه ولد ببلاد بني أسد ، وإنه كان ينزل المشقر من اليمامة »
ويقال : « بل كان ينزل في حصن من البحرين » وقيل أيضاً إنه من
أهل نجد ، والديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد .

أما كندة قبيلته فهي من قبائل العرب القحطانيين ، وإنها
تنسب إلى ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن
زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . وثور
هذا هو كندة . ويقال : إنه سُمي كندة لأنه كند أباه ، أي عقه .

ويجمع المؤرخون أن موطن كندة الأصلي كان في الجزء
الجنوبي من شبه جزيرة العرب ، فهم من القبائل القحطانية التي

(١) أبو يزيد : هو المخبل السعدي .

ذو القروح : امرؤ القيس .

جرول : الخطينة .

(٢) قيل إن المهملل خاله هو الذي لقنه فن الشعر حتى نبغ فيه ، إلى أن تقدم على
سائر شعراء عصره .

كانت تسكن اليمن في الأصل، ويقول ياقوت «إن كندة مخلاف باليمن هو باسم قبيلة كندة» وابن خلدون يقول: «إن موطن كندة الأصلي كان بجبال اليمن مما يلي حضرموت». ويقول الهمداني: «بلد كندة من أرض حضرموت». ويذكر من بلادها: هَينَن، وصوران، وعندل. ويقول إن امرأ القيس قال فيها:

كأنني لم ألهو بدئون مرة
ولم أشهد الغارات يوماً بعندل

ويذكر اليعقوبي «أنه كان بين كندة وحضرموت حروب أفنت عامتهم، وبعدها لانت كندة وكرهت محاربة حضرموت، ودخل أهل اليمن التشتيت والتفريق، فلما افترق أهل اليمن، وانتشروا في البلاد، ملَّك كل قوم عظيمهم، وصارت كندة إلى أرض معدّ، فجاورتهم، ثم ملكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم، يقال له: مرتع بن معاوية بن ثور».

فكندة كانت من القبائل اليمنية الأصل. وقد هاجرت مثل غيرها من اليمنيين الذين تركوا اليمن، واستوطنوا أماكن جديدة في القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية بين إخوانهم العرب العدنانيين. فأقاموا لهم مملكة في الشمال مدة من الزمن، وكان هناك في ذلك الوقت ملوك اليمن في القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، وقياصرة الروم في الشمال، والأكاسرة في بلاد الفرس. كما كان هناك من العرب مما يجاور بلاد الروم والفرس

مثل ملوك غسان وملوك اللخمين المناذرة في الحيرة. وحسب قول بلاشير «فإن ملوك كندة كانوا ينحازون حسب مصالحهم، تارة إلى بيزنطة، وتارة إلى فارس».

ويذكر المؤرخون أنه وجدت في الجزيرة العربية آنذاك ثلاث ممالك: الغساسنة، والمناذرة، وكندة: «وتضاربت مصالحها وكانت بينها حروب طويلة وقد أدى التنافس في السيادة والسلطان بين هذه الإمارات العربية الثلاث الى وجود تنازع واختلاف، وتحاسد، مما أحدث بينهم كثيراً من التطاحن والقتال».

والثابت تاريخياً أن أهم ملوك كندة هو - حجر بن عمرو - الذي دام ملكه ثلاثاً وعشرين عاماً. وأتى بعده ابنه - عمرو بن حجر - وبعد عمرو - تولى ابنه الحارث وهو أشهر رجل في كندة. «إذ كان أشدهم بسالة وإقداماً، وقد وسع ملك كندة، وفرض سلطانه على بكر وعلى قبائل أخرى وتوصل إلى أن أصبح ملكاً على الحيرة».

وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي جعل الحارث بن عمرو الكندي يحكم عرش المناذرة؛ ف قيل: «إنه لما اعتنق المزدكية - قباد - ملك الفرس، طلب - قباد - من المنذر بن ماء السماء اللخمي أن يدخل فيما دخل فيه من مذهب مزدك وزندقته، فلما امتنع المنذر فدعا - قباد - الحارث بن عمرو الكندي إلى ذلك، فأجابه، فاستعمله على الحيرة، وطرده المنذر من مملكته».

وعندما خلف - كسرى أنوشروان - قباد - على ملك الفرس حارب
المزدكية وأنصارها. وفي عهده انتهى حكم كندة للحيرة، ورجع
الأمر إلى المناذرة.

ويقال إن حكم كندة انتقل بعد موت - الحارث - إلى أكبر
أولاده - حجر وهو ابن أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن
معاوية بن كندة وحجر هذا هو والد امرئ القيس الشاعر
المشهور.

وانتهت دولة كندة من الوجود في القرن السادس الميلادي.
وأهمية تلك الدولة تعود إلى أنها أول مملكة في الجزيرة العربية
حاولت أن تجمع شمل العرب تحت زعامة مركزية واحدة، يتولاها
سيد واحد.

وتذكر الروايات أن حجراً والد امرئ القيس، قد ساءت سيرته
في بني أسد، فتنكروا له، وأزمعوا على قتله تخلصاً من ظلمه
وبطشه، فقد ذكر ابن الكلبي أن حجراً لما «كان في بني أسد،
وكانت له عليهم أتاوة في كل سنة مؤقتة، فعمر ذلك دهرأ، ثم بعث
اليهم جابيه الذي كان يجيبهم فمنعوه ذلك، وحجر يومئذ بتهامة،
وضربوا رسله، وضرّجوهم ضرّجاً شديداً قبيحاً، فبلغ ذلك
حجراً، فسار اليهم بجند من ربيعة، وجند من جند أخيه من قيس
وكنانة، فأتاهم وأخذ سراتهم، فجعل يقتلهم بالعصا فسموا عبيد
العصا، وأباح الأموال، وصيرهم إلى تهامة، وآلى بالله أن لا
يساكنوهم في بلد أبداً، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كندة

وفزارة الأسدي، وكان سيداً، وعبيد بن الأبرص الشاعر، فسارت بنو أسد ثلاثاً، ثم أن عبيد بن الأبرص قام فقال: أيها الملك اسمع مقالتي:

يا عين فابكي ما بني
أسد فهم أهل الندامة
أهل القباب الحمر والنعم
المؤيل والمدامة^(١)
جلاً أبيت اللعن حلاً
إن فيما قلت آمة^(٢)
في كل واد بين يشرب
فالقصور إلى اليمامة
تطريب عانٍ أو صباح
محرقي أو صوت هامة^(٣)
إما تركت تركت عفواً
أو قتلت فلا ملامة
أنت المليك عليهم
وهم العبيد إلى القيامة^(٤)

(١) المؤيل: الكثير، والمقتنى.

(٢) الأمة: العيب.

(٣) الهامة: طائر يعتقد العرب أنه كان يخرج من جسد القتيل ويقول: اسقوني ويقال إنه البومة.

(٤) راجع ديوان عبيد بن الأبرص ص ١٣٧ - ١٣٨. دار صادر - بيروت.

قال: فرق لهم حجر حين سمع قوله، فأقبلوا حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة، تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة، فقال لبني أسد: يا عبادي، قالوا: لبيك ربنا قال: من الملك الأصهب، والغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب، هذا دمه يتشعب، وهذا غداً أول من يسلب، قالوا: من هو يا ربنا؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية، لأخبرتكم أنه حجر ضاحية. فركبوا كل صعب وذلول، فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حُجر فهجموا على قَبْتِه وحاول حجابِه منعهم وضيّعوا عليه «فأقبل عليهم علباء بن الحارث الكاهلي، وكان حُجر قد قتل أباه، فطعنه من خللهم. فأصاب نساها فقتله، فلما قتلوه قالت بنو أسد: يا معشر كنانة وقيس أنتم إخواننا وبنو عمنا والرجل بعيد النسب منا ومنكم، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه فانتهبوهم، فشدوا على هجائنه فمزقوها، ولفوه في ريطة بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق».

وعندما قتل حجر كان ابنه امرأ القيس يلهو ويعيش عيشة اللامبالاة والطيش. ويقول اليعقوبي في ذلك: «إن خبر أبيه أتاه وهو - بَذْمُون - من أرض اليمن، أتاه به رجل من بني عَجَل يقال له - عامر الأعور - أخو الوصاف فلما أتاه بذلك قال:

تطاوَلَ الليلُ على دَمُونُ
دمونُ إِنّا مَعشرُ يمانونُ
وإنّا لأهلها مُحَبّونُ

ثم قال: «ضعيني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صحوا
اليوم، ولا سكر غداً اليوم خمر وغداً أمر» ثم قال:
خليلي لا في اليوم مصحبي لشارب
ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب
ثم شرب سبعاً، فلما صحا آلى ألا يأكل لحماً، ولا يشرب
خمرأ ولا يدهن بدهن، ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك
بثاره، فلما جته الليل رأى برقاً فقال^(١):

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ بَلِيلِ أَهْلِ
يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ^(٢)
أَتَانِي حَدِيثُ فَكَذَّبْتُهُ
بِأَمْرِ تَزْعَزُعٍ مِنْهُ الْقُلُلُ^(٣)
بَقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلُ^(٤)
فَأَيْسَ رُبِيعَةٌ عَنْ رَبِّهَا
وَأَيْسَ تَمِيمٌ وَابْنُ الْخَوْلِ^(٥)

(١) ديوان امرئ القيس ط ١ - ص ١٤٠ - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ١٩٨٣.

(٢) أهل: أبرق من خلل السحاب.

(٣) تززع منه القل: تضطرب منه أعالي الجبال.

(٤) جلل: حقير نافه، وتعمل للعظيم الجليل، ولكنه يحتقر هنا كل شيء بعد أبيه.

(٥) ربعة وتميم: يريد قبائل ربعة وقبائل مصر، وتميم من مصر، وكانت هذمة

أَلَا يَخْضَرُونَ لَدَى بَابِهِ
كَمَا يَخْضَرُونَ إِذَا مَا اسْتَهْلُ^(١)

ومما قاله في تلك اللحظة الموحشة على نفسه، معاتباً من
طرده من ديار الأهل والعشيرة:

أَرَقْتُ وَلَمْ يَأْرُقْ لِمَا بِي نَافِعُ
وَهَاجَ لِي الشَّوْقُ الِهِمُومُ الرُّوَادِعُ^(٢)

ونسدل الستار على المرحلة الأولى من حياة امرئ القيس
حيث عاش فيها حياة اللهو والطيش والمجون، وكان عابثاً بالحياة
لامبالياً بكل قيم الوجود. وكان في هذه الفترة يتجول في الآفاق
«مع صعاليك وشذاذ من أحياء طيء وكتب، وبكر. ويتنقل بهم
في منازل العرب، ويغير بهم على أحيائها، ويقاسمهم ما يحصل
عليه، أو ما يقع لهم من الصيد. ويذهب بهم إلى الغدران،
والرياض، يذبح لهم، ويؤاكلهم، ويعاقرهم الخمر وينشدهم
الشعر، وتغنيهم القيان».

وبقي على هذه الحال إلى أن جاءته الصدمة، صدمة مقتل
أبيه.

= القبائل من أعضاء كندة وأحلافها، الخول: الاتباع والأنصار.

(١) استهل: أخذ في بذل العطايا والمنح.

(٢) أرق: سهدت.

فاستفاق من غفوة الطيش واللهو إلى حياة الجد والاستعداد،
للأخذ بثأر والده .

تذكر الروايات أن امرأ القيس بعد علمه بمقتل أبيه، أخذ يعد
العدة لقتال بني أسد الذين حاولوا بدورهم مفاوضة امرئ
القيس، والصلح معه، وإنهاء ذلك الوضع الناتج عن حادثة مقتل
أبيه بالطرق السلمية .

ويورد الخليل بن أحمد تلك الرواية ويقول : «قدم على امرئ
القيس بن حجر بعد مقتل أبيه، رجال من قبائل بني أسد كهول
وشبان، فيهم المهاجر بن خدّاش ابن عم عبيد الأبرص،
وقيصة بن نعيم، وكان في بني أسد مقيماً، وكان ذا بصيرة
بمواقع الأمور، ورداً وإصداراً، يعرف ذلك له من كان محيطاً
بأكناف بلده من العرب . فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدم
بإكرامهم والإفضال عليهم، واحد عنهم ثلاثاً، فسألوا من
حضرهم من رجال كندة فقال : هو في شغل بإخراج ما في خزائن
حجر من السلاح والعدة فقالوا : اللهم غفراً، إنما قدمنا في أمر
نتناسى به ذكر ما سلف، ونستدرك به، فليبلغ ذلك عنا، فخرج
إليهم في قباء وخفّ وعمامة سوداء، وكانت العرب لا تعتمّ بالسواد
إلا في الترات، فلما نظروا إليه قاموا له . وتكلم خطيبهم في أمر
الصلح، فرفض امرؤ القيس، فخيروه عندئذ بين ثلاث يختار
إحداها : إما أن يختار واحداً من أشرف بيوت بني أسد فيقتله في

أبيه، وإما أن يقبل الفداء من بني أسد التي هي في ألوف تجاوز الحسبة، وإما أن يتفق معهم على هدنة حتى توضع الحوامل، ونهياً الجيوش والأسلحة للقتال، فرفض امرؤ القيس الأولين لأنه لا كفء لحجر في دم، وأنه لن يعتاض به ناقةً أو جملًا، فيكتسب بذلك سبةً الأبد وفَتَّ العضد وقبل الثالثة قائلاً: وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ولن أكون لعطبها سبباً، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقاً، وفوق الأسنة علقاً».

إذا جالت الخيل في مآزق
تصافح فيه المنايا النفوسا

وتقول الرواية: إنهم في النهاية نهضوا عنه، وقبيصة يقول متمثلاً:

لعلك ان تستوخم الورد إن غدت
كتائبنا في مآزق الموت تمطرا

فقال امرؤ القيس: «لا والله لا أستوخمه، فرويداً ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير».

ويذكر ابن الأنباري «أن امرأ القيس خرج إلى اليمن، ثم أقبل بجموع من اليمن وربيعة يريد بني أسد، فأغار عليهم، وقتل في

بطون بني أسد مقتلة عظيمة وأنه قال في ذلك قصيدته التي منها^(١):

قد قرت العينان من مالك
طُراً ومن عمرو ومن كاهل^(٢)
ومن بني غنم بن ودان إذ
يُقذف أعلامهم على السافل^(٣)
حتى تركناهم لدى معرك
أرجلهم كالخشب الشائل^(٤)

وبينما كان امرؤ القيس يعد العدة لمحاربة بني أسد، وجد نفسه في مواجهة خطر آخر بدأ يتحرك ضده، ذلك هو المنذر ملك الحيرة، عدو كندة اللدود، الذي كان الحارث الكندي قد احتل مكانه، وتربع على عرش الحيرة، وطرده من الملك لفترة من الزمن.

وهذا التحرك من قبل المنذر ملك الحيرة أثر سلباً على تحركات امرئ القيس. إذ أن القبائل التي كانت تفكر بمساعدته

(١) الديوان ص ١٤٣.

(٢) بنو مالك وبنو عمرو وبنو كاهل: من بطون بني أسد، ممن اشتركوا في قتل حجر الملك.

(٣) وبنو غنم بن ودان: كذلك من بني أسد.

(٤) الشائل: الخشب المرتفع، ويعني بقوله أنه تركهم صرعى في المعترك حتى كان أرجلهم الخشب المرتفع.

قد أحجمت حينما رأت أن المعركة تعدت أطرها المفروضة ضد بني أسد - وأخذت أبعاداً واتجاهات لم يحسب لها امرؤ القيس حساباً. فكان لهذا العمل أثر خطير في نفوس القبائل التي كانت تمد يد المساعدة والعون لامرئ القيس، وكذلك على نفسية الشاعر نفسه، مما زعزع موقفه، وأضعف من شأنه.

وجهد في التنقل بين القبائل طالباً النجدة والعون والمساعدة، حتى وصل إلى السموأل، وأقام عنده فترة من الزمن. ثم طلب منه أن يكتب للحارث بن أبي شمر الغساني بالشام، ليوصله إلى قيصر الروم. ونزل السموأل عند رغبة الملك الضليل، الذي يحاول بكل جهوده أن يدرك ضالته المنشودة وهي الانتقام من بني أسد، حتى لو أدى ذلك إلى التعامل مع دولة أجنبية تريد الإيقاع بالعرب، وتأمل أن يبقوا في صراعات وخلافات حتى تأمن حدودها.

وحصل ما أراده امرؤ القيس من السموأل، ومضى في طريقه حتى انتهى إلى قيصر.

وبينما هو في طريقه في مشواره الصعب والطويل إلى بلاد الروم اعتلت صحته، وهاجمه المرض، وهذا ما أشار إليه في شعره، وكان معه وقتذاك - جابر بن حني التغلبي^(١):

(١) الديوان - ص ١٦٣.

فلما تريني في رحالة جابر
على حرج كالقر تخفق أكفاني^(١)
فيا رب مكروب كررت وراءه
وعان فككت الغل منه ففداني^(٢)

ويتابع امرؤ القيس طريقه إلى قصر الروم برفقة «عمرو بن
قميئة» أحد بني قيس بن ثعلبة، وكان من خدم أبيه، فبكى ابن
قميئة، وقال له غررت بنا. فأنشأ امرؤ القيس يقول:
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصر^(٣)

(١) الرحالة: يريد بها المحفة التي صنعها له جابر بن حني التغلبي حين أصابه
المرض وكان جابر هذا وعمرو بن قميئة يحملانه فيها. الحرج: سرير كالنمش
والقر: مركب للنساء. تخفق: تضطرب. أكفاني: يريد بها ثيابه التي قدر أن
يدفن بها.

(٢) المكروب: يريد به هنا من أحاط به الكرب وهو في ساحة الحرب. كررت
وراءه: رجعت إليه وقعت عنه حتى أنقذته. وعان: أسير. فككت: نزعت.
الغل: الحبل الذي في عنقه. ففداني: فقال لي: فداك أبي وأمي.

(٣) لما قصد امرؤ القيس أرض الروم مستنجداً القيصر على بني أسد ورد ملك أبيه
إليه صاحب معه عمرو بن قميئة، وكان من أقدم شعراء بكر ومن أقواهم
عارضة، وشعره جيد حسن، قال وهو مع امرئ القيس، وقد بكت ابنته فبكى
لبكائها:

ساءلني بنت عمرو عن الأرم
ضين إذا تنكر أعلامها

فقلتُ له لا تَبِكْ عَيْنُكَ إِنَّمَا
 نَحاولُ مُلْكاً أَوْ نَموتُ فنَعذرُ^(١)
 وإني زعيمٌ إن رَجَعْتُ مُمْلِكاً
 بِسَيْرِ تَرى مِنْهُ الْغُرانِقُ أزورُ^(٢)
 على لَاحِبٍ لا يُهْتَدى بِمَنارِهِ
 إذا سافَهَ الْعُودُ النِّباطِي جرجراً^(٣)

وتؤكد الروايات أن امرأ القيس لما بلغ بلاد الروم انتهى إلى
 قيصر فرحب به «وقبله، وأكرمه، وكانت له عنده منزلة» وأصبح مقرباً
 منه إلى درجة الخاصة من ندمائه، ومواصلاً لابنته، «فاندس
 رجل من بني أسد يقال له - الطَّمَاح - وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً

= لما رأَت سائِداً ما استعبرت
 لله در اليوم من لَامِها
 تذكّرت أرضاً بها أهلها
 أخوالها فيها وأعمامها

فقال امرؤ القيس: «بكى صاحبي» ومات عمرو في هذه الرحلة
 فقيل له: عمرو الضائع. والدرب: المَدْخَلُ إلى أرض الروم.
 (١) يقول: نحن نطلب الملك فإن بلغنا أرضاً منه وآلاً الحُنا في الطلب حتى
 نموت دونه، وفي هذا أشرف العذر لنا.
 (٢) زعيم: كفيل. إن رجعت مملكاً: إن عاد لي ملكي بعد هذه الرحلة. الغرانيق:
 الأسد. أزور: ماثِل العنق.
 (٣) اللاحِب: الطريق الواضح. لا يهتدى بمَنارِهِ: ليس له إشارة تهدي في سيره.
 سافَه: شمه. العود النباطي: الجمل المسن الضخم. جرجر: رغاوض.

له من بني أسد . حتى أتى بلاد الروم مستخفياً . ثم إن قيصر ضم إليه جيشاً كثيفاً . ومنهم جماعة من أبناء الملوك . فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه : إن العرب قومٌ غدر ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعث معه .

وأوقع الحساد بين الشاعر والملك ، ومما قيل له : «إن امرأ القيس غوي عاهر ، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يرأسل ابنتك ويواصلها وهو قائل في ذلك أشعاراً يُشهرها بها في العرب ، فيفضحها ويفضحك» .

ففكر القيصر عندئذ بالأمر ، وأرسل للشاعر «بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب» ، وقال له : «إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكربة لك ، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة ، واكتب إليّ بخبرك من منزل إلى منزل» . ولما وصلت إليه لبسها ، فأسرع السم في جسمه ، ودخل مسام جلده ، وأيقن أن الموت آت ، والهلاك قريب . فقال في ذلك (*) .

تأوبني دائي القديم فغَلَسَا
أحاذر أن يَرْتَدَّ دائي فأنكسَا^(١)

(*) الديوان - ص ٨٦ - ٨٧ .

(١) عند بعض الرواة أن هذا البيت هو أول القصيدة . تأوبني : أتاني مع الليل في وقت الغلس . أحاذر : أخشى من تكس الداء ومعاودته .

فإِذَا تَرَرْنِي لَا أَغْمُضُ سَاعَةً
مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أَكْبَ فَأَنْعَسَا^(١)
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً

وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفَسَا^(٢)
وَبُدِّلْتُ قَرْحاً دَامِياً بَعْدَ صَحَةٍ
فِيَا لَكَ مِنْ نُعْمَى تَحُولُنْ أَبُوسَا^(٣)
لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَاخُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ
لِيُلبَسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلْبَسَا^(٤)

وَاحْتَضَرَ فِي بِلَادِ الرُّومِ بَيْلِدَ اسْمِهَا - أَنْقَرَةَ - فَقَالَ قَبِيلُ وَفَاتِهِ :

رُبَّ خَطْبَةٍ مَسْحَنَفَرَةٍ
وَطَعْنَةٍ مِثْلِ مِثْعَنَجَرَةٍ^(٥)

(١) أَكَبَ : يَأْخُذْنِي شِبْهُ نَوْمٍ فَيَحْنِي رَأْسِي فَأَنْعَسَ .

(٢) فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ : يَرِيدُ نَفْسَهُ . تَمُوتُ جَمِيعَةً : يَعْنِي مَرَّةً وَاحِدَةً .

(٣) وَبُدِّلْتُ قَرْحاً : يَزْعُمُ الرِّوَاةُ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ أَهْدَى إِلَيْهِ حَلَّةً مَسْمُومَةً ، فَلَمَّا لَبَسَهَا سَرَى السَّمُ فِي جِسْمِهِ فَقَرْحَهُ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَصِيبَ بِمَرَضٍ يَشْبِهُ الْجَدْرِي ، فَصَنَعَ بِهِ مَا صَنَعَ . وَقَدْ أَصَابَهُ الْمَرَضُ بِطَرِيقِ الْعُدْوَى مِنَ الطَّمَاخِ الَّذِي كَانَ قَدْ أَصِيبَ بِهِ .

(٤) الطَّمَاخُ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدَ بَعَثَهُ قَوْمُهُ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ فِي أَثَرِ امْرَأَةٍ الْقَيْصَرِ لِيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَصْدِهِ بِطَرِيقِ الْمَكْرِ وَالْخَدَاعِ وَالْمُخَاوَلَةِ ، وَوَشَى بِهِ عِنْدَ الْقَيْصَرِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَكْرٌ بِهِ حَتَّى سَمَ .

(٥) الْمَسْحَنَفَرَةُ : فِيهَا انْطِلَاقٌ وَسَعَةٌ . الْمِثْعَنَجَرَةُ الَّتِي يَنْصَبُّ مِنْهَا الدَّمُ وَيَسِيلُ .

وجفنة متحيرة
حلّت بأرض أنقرة^(١)

ويقال إنه رأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت في
سفع جبل يقال له - عسيب - فسأل عنها، فأخبر بقصتها، فقال^(*):

أجارتنا إن الخطوب تنوب
وإني مقيم ما أقام عسيب^(٢)
أجارتنا إنا غريبان ههنا
وكل غريب للقريب نسيب^(٣)
فإن تصلينا فالقراية بيننا
وإن تضرمينا فالقريب غريب^(٤)
أجارتنا ما فات ليس يؤوب
وما هوأت في الزمان قريب^(٥)

(١) المتحيرة: المملوءة طعاماً ودسماً.

(*) راجع شرح المعلقات العشر - دار مكتبة الهلال - بيروت - قدم له وشرحه د.
مفيد قميحه - ص ٤٩ - ط ١ - ١٩٨٧.

(٢) عسيب: اسم جبل قريب من أنقرة.

(٣) يعني أن الغريب نسيب الغريب، لأن الغربة تجمع بينهما كما يجمع النسب بين
المتباعدين في القرابة.

(٤) روى ابن دريد في شرح هذا البيت هكذا:

فإن تصليني فالمودة بيننا
وإن تبعديني فالمزار عصيب

(٥) ليس يؤوب: لن يعود.

وليس غريباً من تناءت دياره
ولكن مَنْ وارى التراب غريباً^(١)
وكانت وفاته سنة ٥٦٥ م على الأرجح .

(١) تناءت : تباعدت ، ولكن من يموت ويدفن تحت التراب هو الغريب .

السيرة الأدبية

ديوانه وراء النقاد والدارسين فيه

نال ديوان امرىء القيس القسط الوافر، والاهتمام الزائد من الروايات والجمع، والشروح، والنشر، والطبعات، فرواه كثير من الرواة، منهم: الأصمعي. وأبو عبيدة، وأبو عمر الشيباني، والمفضل الضبي، ومحمد بن حبيب وصفه كثير، منهم: الأعلام الشتمري، والوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي، وأبوسعيد السكري، وابن النحاس. وقد أحصى رواياته الدكتور ناصر الدين الأسد، فوجدها ست عشرة رواية. وكتب بحثاً مهماً عنها وعن أصولها، وعن النسخ المختلفة التي صنعت لهذا الديوان.

وقد نشرت معلقة امرىء القيس ضمن النشرات الكثيرة التي صدرت للمعلقات.

وكانت الطبعة الأولى لديوانه ما خلا المعلقة في باريس سنة ١٩٣٧. وطبع في مصر مع شرح البطليوسي سنة ١٨٦٥ م. ونشره في لندن المستشرق البريطاني - أهلوارد عام ١٨٧٠ م في

كتاب (العقد الثمين في دواوين الستة الجاهليين) .

وفي سنة ١٨٩٠ ظهر الجزء الأول من كتاب «شعراء النصرانية»
للأب لويس شيخو، الذي أثبت في أوله شعر امرئ القيس .

وأول من نشره مرتباً على حروف المعجم الأستاذ حسن
السندوبي بمصر سنة ١٩٣٠ .

وفي عام ١٩٥٨ م قام بنشره الأستاذ محمد أبو الفضل
ابراهيم، الذي عني بتحقيق روايات شعره، حيث أنه استعان بكل
نسخ الديوان المخطوطة وهي ست نسخ : للأعلم، والطوسي،
والسكري، والبطلوسي، وابن النحاس، وأبي سهل . واعتبرت
هذه الدراسة للأستاذ ابراهيم من أهم الدراسات العلمية لديوان
امرئ القيس .

وقد احتوى هذا الديوان على مائة قصيدة ومقطوعة .

وهنا لا بد من سوق بعض الأدلة لنقاد سابقين لنرى أهمية
ومكانة امرئ القيس، ومكانته بين أئربه الجاهليين .

من الثابت أن امرأ القيس كان ميالاً بطبيعته إلى الشعر، فأحبه
وقرأ منه الكثير، وكان راوية - أبي دؤاد الإيادي - ولما اكتمل نموه
الأدبي فاضت عواطفه بالشعر . ويبدو أنه أحس من نفسه قوة في
هذا الميدان فكان «شديد الظنة في شعره، كثير المنازعة لأهله،
مُدلاً فيه بنفسه، واثقاً بقدرته» .

قال الأصمعي : « قال أبو عمرو بن العلاء : كان امرؤ القيس معنًا^(١) ضليلاً ينازع كل من ادعى الشعر » .

وكان أبو عبيدة يقول : « افتتح الشعر بامرئ القيس ، وختم بابن هرمة » وقال الجمحي : « فارس اليمن في بني زبير عمرو بن معد يكرب ، وشاعرها امرؤ القيس » .

وجاء على لسان ابن رشيق قوله : « والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم وسار شعرهم ، وكثر ذكرهم حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم ، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له ، وقل ما يجتمع على واحد ، إلا ما روي عن النبي ﷺ في امرئ القيس أنه أشعر الشعراء ، وقائدهم إلى النار ، يعني شعراء الجاهلية والمشركين » .

وفضله الإمام علي رضي الله عنه بأن قال : « رأيت أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة » .

وجاء على لسان الأصمعي في - الموشح - : « طريق الشعر هو طريق الفحول مثل امرئ القيس ، وزهير ، والنابعة » .

أما ابن سلام فإنه يقول في - طبقات الشعراء - : « أخبرني أبان بن عثمان البجلي ، قال : مرّ لييد بالكوفة في بني نهد ، فأتبعوه رسولاً يسأله : من أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل^(٢) » .

(١) المعن : من يدخل فيما لا يعنيه .

(٢) الملك الضليل : يعني امرأ القيس .

وقال ابن سلام كذلك: «أخبرني شعيب بن صخر بن هارون بن ابراهيم قال: سمعت قائلًا يقول للفرزدق: من أشعر الناس يا أبا فراس؟

قال: ذو القروح، يعني امرأ القيس».

وقيل لكثير: «من أشعر الناس؟ فقال: امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب، والأعشى إذا شرب».

وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن سلمة يسأله من أشعر الشعراء في الجاهلية، وأشعر شعراء وقته، فقال: «أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس، وأضربهم مثلاً طرفة، وأما أشعر شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم، وجريز أمجاهم، والأخطل أوصفهم».

وقال ابن سلام: «أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر».

ويقول ابن رشيقي: «قول امرئ القيس «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» هو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر، لأنه وقف، واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب، والمنزل، في مصراع واحد».

هذا غيض من فيض مّا وصلنا من آراء النقاد والباحثين القدامى في شعر امرئ القيس، الذي سنّ السنن، ووضع القوانين للقصيدة الجاهلية. إلا أن الدكتور طه حسين يرى أن أكثر

الشعر منسوب إلى امرئ القيس وليس له أصل خاصة ذلك والذي يتصل بسيرته إنما هو من عمل القصاص... وأنه - أي الشعر - مختلق وليس لامرئ القيس أصلاً. أما الشعر الذي لا، يفسر سيرته ولا يتصل بها، فيرى أن أحق هذا الشعر بالعناية قصيدتان اثنتان فقط:

الأولى: قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل.

الثانية: ألا أنعم صباحاً أيها الطلل الباكي.

ويقول إن ما عدا هاتين القصيدتين فيه الضعف ظاهر، «والاضطراب فيه بين، والتكلف والإسفاف يكادان يلتمان باليد».

وواضح من هذا الكلام أن الدكتور طه حسين يهمل الرواة إهمالاً تاماً، ولا يأخذ برأيهم ولا بشهادتهم حتى ولو كان الراوي معروفاً بالأمانة والصدق مثل الأصمعي والمفضل.

وبعد هذا يبقى امرؤ القيس علماً من أعلام الشعر العربي، وذخراً هاماً من ذخائرنا الأدبية. وما العواصف النقدية الكثيرة التي أثيرت حول شعره إلا لأهمية الشاعر ذاته وأهمية شعره نفسه.

السيرة الشخصية

بعد هذا نستطيع أن نرصد ملامح مرحلتين مهمتين في حياة امرئ القيس . ولكل منهما منطلقات واتجاهات تختلف عن الثانية وهذا الاختلاف بين المرحلتين أو - التجربتين - النفستين حددتا مسار شعره، وتطوره وأساليب القول عنده، والموضوعات التي فرضت عليه في بعض الأحيان، أو التي جاءت نتيجة صدمة نفسية هزته في الصميم وحملته إلى تغيير مجرى حياته وسلوكه وعلاقاته. هذه الصدمة أعادت للشاعر الوعي الاجتماعي بالمسؤولية التي فقدوها، إثر بُعده عن عشيرته مجبراً.

والمعروف تاريخياً أن امرأ القيس، نشأ وترعرع وعاش بعيداً عن والده إذ أن أباه «كان قد طرده لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع، وكان لها عاشقاً. وقيل إنه طرد لأنه تغزل بامرأة من نساء أبيه».

ويذكر الأصمعي: «كان امرؤ القيس رأى من أبيه جفاء، فلحق

بعمه حتى قتل أبوه وعمه ، فانصرف بعد قتلها إلى قومه ، فهذه الرواية تذكر أن السبب كان حدوث جفاء بينه وبين أبيه ، ولكنها لم تذكر سبب هذا الجفاء .

وقد يكون مما يفسر لنا سبب هذا الجفاء ما يرويه أبو نصر أحمد بن حاتم إذ يقول : «أخبرنا الأصمعي أنه قال : بينا امرؤ القيس قاعد ذات يوم ، وهو يشرب مع أبيه وهو غلام حين احتلم ، وأبوه يشرب مع ندمائه وفتية من أهل بيته إذ مرّ عليهم الساقى بالكأس ، فقال امرؤ القيس :

أَسْقِيَا حُجْرًا عَلَى عِلَاتِهِ
مَنْ كُمِيتَ لَوْنُهَا لَوْنُ الْعَلَقِ

فسمعه أبوه ، فقال للساقى : الطم وجهه ، وأخرجني ، وقال له : إياك أن أسمعك تقول شعراً فأقتلك ! وكان حجر يرفع نفسه عن الشعر وولده ، فغير امرؤ القيس بذلك زماناً ، فكان لا يقول الشعر إلا سراً مخافة من أبيه . قال : فبينما أبوه ذات يوم نائم في قُبته وقد شرب حتى طابت نفسه ، إذ انتبه وامرؤ القيس يشرب من فضل أنية أبيه وهو يقول :

وَهَرُّ نَصِيدِ قُلُوبِ الرِّجَالِ
وَأَفْلَتَ مِنْهَا ابْنُ عَمْرِو حُجْرٍ

فوثب إليه أبوه ، فجعل يَجَأُ في عنقه حتى أدمى منخريه ، ثم طفق يلطمه ويقول : ألم أنهك عن أن تقول شعراً ، وعن أن

تذكرني في شعرك، ثم دعا مولى له يقال ربيعة، وكان حاجبه، فقال له : انطلق بهذا إلى موضع كذا وكذا فاقتله، فأني لا أظنه إلا سيثمتنا .

والملاحظ أن امرأ القيس في هذه الفترة كان ميالاً إلى اللهو والمتعة، مغرماً بشهواته الخاصة ولذاته، فاستغرق في المجون، ولم يهتم بعظائم الأمور وجلائل الأعمال، وربما لمس أبوه ذلك فيه، فلم يعجبه سلوكه، ولم يكن راضياً عن أعماله وأخلاقه، فحدثت بينهما تلك الجفوة التي تتحدث عنها الأخبار والروايات .

أما المرحلة الثانية من حياته فإننا نستطيع أن نؤرخ لها ابتداء من موت أبيه حين قال : « ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صَحْوَ اليوم، ولا سكر غداً، اليوم خمر، وغداً أمر » .

والملاحظ أن امرأ القيس لم يعبأ بخبر موت أبيه، حتى انتهى من لعبه وشربه، وأنه في تلك اللحظة قد أنحى بما يشبه اللاتمة على أبيه ؛ إذ ضيعه صغيراً، وأهمل رعايته وتربيته، ثم ألقى بالعبء عليه دون أن يستعد ويتهيأ له . وتبرز الحمية العربية في نفسه، فيقسم على ترك اللهو والمتعة، حتى يقتص لأبيه، ويأخذ بثأره من قتلته من بني أسد .

وحينما ننظر إلى حياة امرئ القيس، نجد أن الفترة الأولى من حياته تمثل حياة الشباب وما فيها من ترف الملوك، وفراغ ولهو، وعدم مسؤولية؛ إنه يعيش حياة منطلقة، لا مشاكل ولا هموم لديه،

ولا واجب يتحتم عليه أن يؤديه . فكانت هذه الفترة لنفسه وذاته
وغرائزه لعب ولهو ومرح وعبث، وجري وراء المتع واللذات،
يضرب في الأرض على غير هدى، وينزل في الأرض لغير هدف .
إلا أن يُرضي نزوات الشباب ويملاً فراغه بكل ما يستطيع من ألوان
المتعة واللهو، ولو إلى حد الخلاعة والمجون، في هذا الجو
العابق بالنشوة واللهو كان امرؤ القيس كثير التنقل بين المنازل
والديار، مصوراً مغامراته مع النساء والعشيقات، ومع الأطباء
والغزلان .

أما القسم الثاني من حياته فإنه يصور تنقله بين مختلف الأحياء
والقبائل والأوطان، والأمراء والملوك، لا للهو والمتعة كما كان في
الفترة الأولى من حياته . ولكن رغبة في تحقيق آمال عريضة، وهي
الأخذ بالثأر واسترجاع ملكه .

إنه يمثل في هذا الموقع الإنسان المسؤول، الطامح إلى
المجد والسؤدد، إلى العلاء والرفعة . وهنا تتجلى له الحياة بكل
حقائقها، وتكشف له عن وجه جديد ، فيه الكثير من أحوال
النفس البشرية، المليئة بالمتناقضات، وهذا ما يتجلى في شعره
في هذه الفترة حيث الرضا والسخط والحسرة والألم، فهذا الشعر
خليط من المدح والذم، والتهديد ومحاولة التعالي على الجراح،
مع ذكريات الماضي، وواقع الحاضر، وخبرة المجرب . وبقي
شاعرنا على هذه الحال حتى قرّح القيصر جسده وأغمض عينيه
ومات عام ٥٦٥ م .

أغراضه الشعرية

جاءت قصائد امرئ القيس، صورة صادقة عن بيئته وواقعه، ومراحل حياته، التي رأينا في بدايتها اللهو والمجون، وفي نهايتها الجد والعمل، وتعددت الموضوعات الشعرية عنده من غزل ومديح، وهجاء، وتصوير للطبيعة، وللذات الإنسانية. حتى أننا نقع على موضوعات شتى في القصيدة الواحدة: وهذه صفة من صفات الشعر الجاهلي، الذي رسم خطوطه، ووضع قوانينه امرؤ القيس حسب رأي النقاد والباحثين.

١ - الغزل(*) :

وقد استعمل الباحثون والدارسون في مثل هذا الموقع «الغزل والنسيب أو التشبيب». وحاول بعض النقاد أن يفرقوا بين هذه الاصطلاحات، فمثلاً يقول قدامة بن جعفر عن الغزل: «هو

(*) الغزل، أو النسيب، أو التشبيب: هي مترادفات تدل كل منها على ما تدل عليه الأخرى. فهي تطلق على كل حديث ينصل بجمال المرأة ويشير ذكرياتها.

التصايبي والاستهتار بمودات النساء، ويقال في الإنسان إنه غَزِلَ إذ كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء، وتجانس موافقتهن لحاجته بالوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه».

ويقول عن النسب: «هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وقد يدخل في النسب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة، والبروق اللامعة، والحمام الهاتفة، والخيالات الطائفة، وآثار الديار الباقية، وأشخاص الأطلال الدائرة».

والحقيقة أن هذه المترادفات تطلق على كل ما يتصل بالمرأة وجمالها، ويشير ذكرياتها وأيامها. وقد تحدث شاعرنا عن هذا في مواضع كثيرة، وصور مفاتن النساء، وأسرار جمالهن، وتحدث كذلك عن غرامه بالكثيرات ومغامراته معهن.

ويبدو أن أمراً القيس كان يستهويه الجمال، ويملك عليه قلبه وأحاسيسه، أينما كان، وأنى حلّ. فأعجب بكل جميلة، وثار قلبه لكل مليحة، وهام بكل امرأة صبوح. فكانت حبيباته كثيرات منهن: أم الحويرث، وأم الرباب، وعنيزة، وفاطمة، وسلمى، وسليمى، وبسباسة، وأم جندب، وأسماء وابنة عفزر، وهر، وسلامة، وقدور، ورقاش، وسعاد، وهند، والرباب، وفرتنى، ولميس *

(*) وردت أسماء حبيبته تلك في قصائده المثبتة في ديوانه.

ويظهر هذا أن امرأ القيس قد أنشد في المرأة الشعر الجميل،
حتى احتلت عنده المكان الظاهر، وقلما تخلو قصيدة من ذكرها.

مَهْفَهْفَةٌ بِيضَاءٍ غَيْرُ مُفَاضَةٍ
تَرَاتِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ^(١)
تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَقِي
بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مَطْفَلِ^(٢)
وَجِيدٍ كَجِيدِ الرَّثَمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ
إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمَعْطَلِ^(٣)
كَبْكُرٍ مُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ
غَذَاها نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرِ الْمَحْلَلِ^(٤)

(١) مهفهفة: خفيفة اللحم ليست برهلة ولا ضخمة البطن. المفاضة: المنرخية
البطن. التراتب: موضع القلادة من الصدر. مصقولة: مجلوة. كالسجنجل:
كالمرأة النصافية.

(٢) تصد: تعرض. وتبدي عن خد أسيل: ليس بكز. وجرة: موضع. مطفل:
ذات أطفال.

(٣) الجيد: العنق. الرثم: الظبي الأبيض الخالص البياض. ليس بفاحش: غير
كريبه المنظر. نصته: رفضته. المعطل: الذي لا حلى عليه.

(٤) كبكر: كبيضة النعامة أول ما تبيض. المقاناة: التي خالط بياضها حمرة
وصفرة. الماء النмир: الصافي. غير المحلل: الذي لم تدركه السابلة في
نزولها عليه.

وَفَرع يَزِينُ المَتْنَ أسودَ فاحم
 أثيث كَقَنو النخلة المتعكل^(١)
 غداثرة مُستشزراتُ إلى العلا
 تَفِضْلُ المَذَارَى في مُثْنَى وَمُرْسَل^(٢)
 وَكَشَحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ
 وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ المَذَلَّلِ^(٣)
 وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ
 أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ أُسْحَلٍ^(٤)
 تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَُا
 مَنَارَةٌ مُنْصَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلٍ^(٥)

(١) القرع: الشعر التام. المتن: ما عن يمين الصلب وشماله من العصب واللحم.
 الفاحم: الشديد السواد. الأثيث: الكثير. المتعكل: الذي دخل بعضه في
 بعض لكثرتة.

(٢) الغداثر: الذوائب. مستشزرات: مجدولات، مرتفعات. المذارى: جمع
 مدرى، وهي مثل شوكة يخلل بها شعر المرأة ويصلح، أو هو المشط. مثنى
 ومرسل: أي بعضه مثنى متجمع وبعضه مرسل غير متجمع.

(٣) الكشح اللطيف: الخصر النحيل الحسن. الجدِيل: زمام يتخذ من السيور
 فيجدل، فيجيء حسناً ليناً. أنبوب السقي المذلَّل: ساق كساق البردى وهو
 نبات يقوم على سوق في مناقع الماء ويعرف كثيراً بمصر. المذلَّل: الحروث.

(٤) تعطو برخص: تتناول ببنان لطيف. أساريع ظبي: كأنه دود صغار بما يرى في
 الكتيب المسمى بظبي. الأسحل: شجريتاك به.

(٥) المنارة: يريد بها سراج الراهب الذي يستضيء به في وحدته وانقطاعه لعبادة
 ربه.

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها
 نَومُ الضُّحَا لم تتسطق عن تفضُّل^(١)
 إلى مثلها يرنو الحليمُ صباةً
 إذا ما اسبكرتُ بين درعٍ ومَجُولِ^(٢)

إنها فتاة جميلة، رائعة، مشوقة القدر، رشيقة القوام، في ريعان الشباب وميعة الصبا. بشرتها بيضاء، صافية، حسنة، كلها أنوثة ونضارة وشباب وتوثب. قد خلقت ونشأت في نعمة من العيش والترف. صدرها يشع بالنور والبهجة والأنوثة والجمال. عيونها حوراء جميلة، ترسل منهما بريقاً كأنه السهام. وجيدها رائع بهيج، ليس بالقصير ولا بالطويل ويبدو جمالها حينما تحيط ذلك الجيد بأحسن الحلى، وأثمن الجواهر. شعرها ليل داج، شديد السواد، طويل يغطي ظهرها، تبدو فيه العناية والرعاية، وهو أشكال مختلفة منه ما هو مرسل، ومنه ما هو معقود، يتداخل ببعضه ويتشابك ولكن في إتقان وإبداع.

وخصرها نحيل، قوي متماسك، لين، لطيف. وساقها أبيض

(١) تضحى: تنبّه من نومها في ضحوة النهار. فتيت المسك: ما فتت منه. لم تتسطق: لم تشد نطاقاً للعمل، يعني أنها مرهقة منصحة مدللة. عن تفضُّل: عن ثوب النوم.

(٢) يرنو: يديم النظر مع سكون الطرف. الصباة: الشوق الرقيق. اسبكرت: تمت وكملت. بين درع ومجول: أي أنها بين الكبيرة التي تلبس الدرع وبين الصغيرة التي تلبس المجول. يعني أنها شابة غيداء.

ممتليء غرض . وجسمها حسن جميل البهاء . إنها تعيش في نعيم
ورفاهية . تنام حتى الضحا على فراش مضمخ بالمسك والعطور .
ولها من الخدم ما يكفيها . وإذا ما ارتدت ثيابها زادت بها فتنة
وجمالاً ، وأضفت عليها بهاء ودلالاً ؛ حتى لتذهب بعقل العاقل
الرزين .

وتبرز في صورة ثانية(٢٠) :

يضيء الفراش وجهها لضجيعها
كمصباح زيت في قناديل دُبال^(١)
كأن على لباتها مُضطل
أصاب غضى جزلاً وكُفُّ بأجذال^(٢)
وهبت له ريح بمختلف الصوى
صَباً وشَمالاً في منازل قُقال^(٣)

يصف ويتغزل هنا بالوجه والعنق وأعلى الصدر، ذلك الجزء
من الجسد الذي يقع عليه نظر الراثي في العادة فيبدو - ولو كانت
نائمة - كأنه يبدد الظلام بنوره، ويغمر المكان بالبهجة والسرور،

(٢٠) الديوان - ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(١) الدُّبَال : الصانعون فتائل المصابيح .

(٢) اللبات : موضع القلادة وهي جمع لبة . مصطلحي : مستدفيء . الغرض : شجر
سريع الالتهاب في صفاء وجمره أبقي جمر . الأجذال : أصول الشجر .

(٣) الصوى : العلامات تنصب في الطريق لهداية السابلة . قُقال : عائدون من
السفر .

وهي تزين صدرها وعنقها بحلى تتلألا وكأنها النجوم المشعة من
شدة البريق واللمعان، فتبدو كجمرات تتوهج وتشع بأنوار لا مثيل
لها، تبعث في الحياة الدفء وفي الأرجاء الاستقرار والمحبة.

ويبرز الغزل عنده في هذه اللوحة أيضاً (*) :

بأسودَ مُلتفِّ الغدائر واردة
وذِي أَشْر تَشُوفُهُ وَتَشُوصُ^(١)
منابته مثل السدوس ولونه
كشوك السَّيَالِ فهو عذبٌ يُفِيصُ^(٢)

إن اللوحة الشعرية هذه نراها واضحة، وكأنها تنطق بالجمال أو
تكاد. فشعر أسود منظم ومنسق، لامع، مشع بغدائره الطويلة
الملتفة في منظر جميل. وفم حلو، عذب، قد بانت فيه الأسنان
الرقيقة متراصة في نظام بديع، قد انشقت عن لثة ناضرة جذابة.

(*) الديوان - ص ٩١.

(١) بأسود: شعر أسود. فاحم الغدائر: خصل الشعر الملتفة المدلاة. الوارد:
الشعر الطويل المترسل. وذِي أَشْر: محدد الأسنان في رقة. تشوفه: تجلوه.
تشوص: تحافظ على نظافته بالمسواك.

(٢) منابته: يقصد اللثة. السدوس: الطليسان. السيال: شجر، ويقال إنه نبت له
شوك أبيض أشبه شيء بالأسنان، ومفرده سيالة. فهو عذب: يعني ماء الثغر.
يفيص: يبرق، أو أنه يسيل على الأرض.

ويلقي مزيداً من الضوء على الريق في هذا المقطع،
فيقول (٥):

إِذَا ذُقْتُ فَاهَا قُلْتُ طَعَمَ مُدَامَةً
مُعْتَقَةً مِمَّا تَجِيءُ بِهِ التَّجَرُّ (١)
كَأَنَّ التَّجَارَ أَصْعَدُوا بِسَيِّئَةٍ
مِنَ الْخَصْرِ حَتَّى أَنْزَلُوهَا عَلَى يَسْرٍ (٢)
فَلَمَّا اسْتَطَابُوا صُبَّ فِي الصَّحْنِ نَصْفُهُ
وَشُجَّتْ بِمَاءٍ غَيْرِ طَرَقٍ وَلَا كَدَرٍ (٣)
بِمَاءٍ سَحَابٍ زَلُّ عَنْ مَتْنِ صَخْرَةٍ
إِلَى بَطْنِ أُخْرَى طَيِّبٌ مَاؤُهُ خَصَرٌ (٤)

(٥) الديوان - ص ٧٣ - ٧٤ .

(١) إذا ذقت فاهها: إذا قبلتها في فيها. مدامة: خمرة معتقة قديمة. التجر: يريد تجار الخمرة.

(٢) التجار: جمع تاجر. أصعدوا: ساروا. السيئة: الخمر تباع بالمال. الخص: حانوت الخمار. يسر: مقامرون وأغنياء. والمعنى أنه شبه ماء الفم بالخمرة، ووصف الخمر بأكمل صفاتها ليرجع ذلك إلى المشبه وهو الريق.

(٣) استطابوا: وجدوا طيبة. الصحن: القدرح الكبير. وشجت: مزجت بالماء. الطرق: هو الذي بالت فيه الإبل. ولا كدر: وليست به كدرة. ولا عكر: فهم يختارون الماء صافياً نقياً.

(٤) بماء سحاب: أي أن الماء الذي مزجوا به الخمر من ماء السحاب. زل على متن صخرة: انحدر من صخرة متسرباً إلى بطن صخرة أخرى لم يمس التراب ولم يلوث به. خصر: بارد.

فريقها في هذه اللوحة عذب حلوا. من ذاقه انتشى وسكر،
كأنما شرب من خمر معتقة، ذكية الرائحة، طيبة الطعم، ممزوجة
بماء بارد ليسهل شربها نتيجة قوتها، وشدة لعبها في رأس من
شرب منها.

يعنى امرؤ القيس في هذه اللوحات الجميلة بإبراز جمال المرأة
وتبيان مفاتنها الجسمية، وحياتها التي لا يراها إلا أن تكون حياة
ترف ورفاهية، ودلال وكمال. والمرأة عنده فتاة في ريعان الصبا،
نضرة الشباب، فيها كل ما يثير الدهشة والعجب، من وجه
صبوح، إلى جسم مكتمل وشعر أسود، وخد أسيل ناضر، وجيد
وسيم، وخصر هضيم، وبنان لين أبيض طويل. وحياتها ترف
ونعيم.

بعد هذا لا يُد من رؤية حياة اللهو والعبث والمغامرات التي كان
يقوم بها امرؤ القيس. وربما تكون معظم تلك المغامرات من بنات
أحلامه، ومن قبيل الأوهام، نسجها خيال شاعر عاش حياة الترف
واللهو. ومن الممكن جداً أن نلمس ذلك بسهولة في معظم
قصائده التي نعرض أهمها فيما يلي.

١ - يوم دارة جلجل :

تروي الأخبار أن الفرزدق حدث عن جده : «أن امرأ القيس كان
عاشقاً لابنة عم له يقال لها عنيزة، وأنه طلبها فلم يصل إليها،
وأراد أن يتزوجها فلم يُقَضَ له، حتى إذا كان يوم الغدير - وهو يوم

دائرة جلجل - احتمل الحي متقدمين، وخلفوا النساء والخدم والعُساء^(١). فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف عن رجال قومه، فكمّن في غيابة من الأرض، حتى مرت به فتيات، فيهن عنيزة. فلما وردن الغدير نَحْنُ العبيد، وتجردن، ودخلن الغدير، فخاتلهن امرؤ القيس، فأخذ ثيابهن فحملها، وأقسم ألا يعطي جارية منهن ثوبها حتى تخرج كما هي، فتأخذ ثوبها، فأبين ذلك حتى تعالى النهار، وخشين أن يقصُرْنَ عن المنزل الذي يردنه، فخرجت إحداهن فوضع لها ثوبها فأخذته، وتتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة. فناشدته أن يطرح لها ثوبها، فأبى عليها، فخرجت، فنظر إليها مقبلة مدبرة، فأخذت ثوبها فلبسته. فأقبلن عليه فقلن: عذبتنا وجوعتنا! فقال: إن نحرت لكنّ راحلتي أتاكلن منها قلن: نعم. فعرقها ونحرها، وأجج الحذم ناراً، فجعل يقطع لهن اللحم فيرميه على الجمر، ويسقيهن من زكرة^(٢) كانت معه، ويغنيهن حتى شبعن وطربن. فقالت إحداهن: أنا أحمل طنفسه، وقالت أخرى: أنا أحمل زكرته، وقالت أخرى: أنا أحمل حشيته وأنساعه، وبقيت عنيزة لم يحملنها شيئاً، فقال لها: يا بنت الكرام، ليس لك بُدّ من أن تحمليني معك، فلإني لا أطيق المشي، فحملته على غارب بغيرها، فكان يجنح إليها فيدخل رأسه في خدرها، ويقبلها، فإذا امتنعت أمال خدرها،

(١) العساء: جمع عسيف، وهو الأجير.

(٢) الزكرة: زق صغير يجعل فيه الشراب.

فتقول: يا امرأ القيس، عقرت بعيري، فانزل. فسار معهن حتى
إذا كان قريباً من الحي نزل. فأقام حتى جَنَّ عليه الليل ثم أتى
أهله ليلاً. « ويذكر تلك الحادثة في هذه الأبيات (١):

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ
(١) وَلَا سِيَّما يَوْمٌ بِدَارَةٍ جُلْجُلٍ
وَيَوْمٍ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِئَتِي
فِيَا عَجَباً مَنْ رَحَلَهَا الْمُتَحَمِّلُ (٢)
فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا
وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدُّمُقْسِ الْمَفْتُلِ (٣)
وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخَذِرَ خَذَرَ غَنِيْزَةٍ
فَقَالَتْ لَكَ الْبَوِلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي (٤)
تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَيْطُ بِنَا مَعاً
عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَاَنْزِلِ (٥)
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زَمَامَهُ
وَلَا تُبْعِدْنِي عَنْ جَنَّاكَ الْمَعْلَلِ (٦)

(١) الديوان - ص ١١٢.

(١) الدارة: الدار. دارة جلجل: موضع يقال له الحمى.

(٢) يا عجباً: اعجبوا عجباً، أو يا عجي. المتحمل: المحمول.

(٣) يرتمين: يرمي بعضهن بعضاً بلحمها وشحمها الأبيض كأنه الحرير المقتل.

(٤) الخذر: الهودج. غنيزة: لقب صاحبته فاطمة. لك البويلات: دعاء عليه.
مرجلي: عافر بعيري، وتاركه أمشي مترجلة غير راجبة.

(٥) الغييط: الهودج. عقرت بعيري: أي أدبرت ظهره، يعني جرحته.

(٦) جناها: اقتطاف حمرة خديها بالقبل، المعلل: الذي علل بالطيب مرة بعد مرة.

٢ - يوم الكتيب :

ويقول في هذا* :

- ويسوماً على ظهر الكتيب تعذرت
عليّ، وآلت حَلْفَةً لم تحلل^(١)
أفاطم مهلاً بعض هذا التَّدُل
وإن كنت قد أزمعتِ صرْمي فأجملي^(٢)
وإن كنتِ قد ساءتِكِ مني خليقةُ
فسلِّي ثيابي من ثيابكِ تَنسُل^(٣)
أغرِّكِ مني أن حبكِ قاتلي
وأنكِ مهما تأمرني القلب يفعل^(٤)
وما ذرفتِ عيناكِ إلا لتضربي
بِسَهْمَيْكِ في أعشار قلب مُفْتَل^(٥)

(*) الديوان - ص ١١٣ - ١١٤ .

- (١) الكتيب : الرمل المجتمع في ارتفاع . تعذرت : امتنعت . آلت : حلفت . لم تحلل : لم تستش في يمينها ، أي جعلته حلفاً قاطعاً .
(٢) مهلاً : قليلاً قليلاً . بعض هذا التَّدُل : كفي بعض تذللِك عني ، وأقلّي منه . أزمعت : عزمت ونويت . صرْمي : قطيعتي . أجملي : أحسنّي .
(٣) خليقة : خلق ، طبيعة . ثيابي : يريد بها قلبه . سلي : انزعني .
(٤) أغرِّكِ : أحملك على الاعتزاز بي أن حبكِ قد برح بي حتى كاد يقتلني ، والقلب : يريد به قلبه لأنه لا سلطان له عليه ، وإنما السلطان والتصرف فيه لها هي .
(٥) ذرفت : دمعت . بسهميك : يريد بهما عينيها . أعشار القلب : أجزاءه . مقتل : مذلّ بجبكِ .

في هذا الموقف يبدو راجياً متوسلاً، لأن الحبيبة تمتنع عنه،
وتقسم ألا تنساق معه في رغباته وأعماله، إلى أن نراه منهاراً
متوسلاً بأن تخفف عليه التدلل والاحجام. وكل ما يتمناه أن
تحسن معاملته إن كانت قد قررت وعزمت على تركه وقطيعة،
فتكون الفرقة، والقطيعة في رق ولطف لا بجفاء ومشاكسة.
ويظهر الرجاء والترجي حينما يقول: إن كان فيّ خلق لا يعجبك،
فردني إليّ قلبي الذي استوليت عليه. وبين لها أن حبه لها قد نال
منه وكاد أن يقتله، وفؤاده قد أصبح طوع هواها، وأنها إن بكت
وذرفت الدموع فإنها تؤلمه وتوجه سهام الموت إلى قلبه الولهان،
المفتون بحبها وبجمالها.

٣ - بيضة خدر * :

وقال في هذا:

وبيضة خدر لا يرامُ خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجل^(١)
تجاوزتُ أحراساً إليها ومغشراً
عليّ جراساً لو يسروني مقتلي^(٢)

(*) الديوان - ص - ١١٤ - ١١٥ .

(١) بيضة خدر: ورب غادة مخدرة. لا يرام خباؤها: لا يستطيع الوصول إليها. غير معجل: غير خائف من أحد.

(٢) تجاوزت أحراساً: مررت بحراسها وأهلها الحريصين على قتلي لو يستطيعون ذلك.

إذا ما الثريا في السماء تعرّضت
تعرّض أثناء الوشاح المفصل^(١)
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
لدى الستّر إلا لينة المتفضل^(٢)
فقلت: يمينُ الله مالك حيلة
وما إن أرى عنك الغواية تنجلي^(٣)
خرجتُ بها أمشي تجرُّ وراءنا
على أثرينا ذيل مرطٍ مُرحّل^(٤)
فلما أجزنا ساحة الحيّ وانتحي
بنا بطن جفّ ذي ركامٍ عَقَنَل^(٥)

(١) أثناء: جمع ثني، وثني، وثني. الوشاح: خرز يعمل من كل لون. الذي فصل بالزبرجد، أو يجعل بين كل خرزتين فيه لؤلؤة. وتعرّضت الثريا: تصوت للمغيب فهي إذا كانت على وشك المغيب تتعرض، كما أن الوشاح إذا طرح تلقاك بناحيته.

(٢) نضت: خلعت، ونزعت. اللبسة: هيئة اللباس. المتفضل: الذي يلبس الفضل، وهو الثوب الواحد الذي يلي الجسد. لدى الستّر: عند الستر.

(٣) حيلة: احتيال. مالك حيلة: أي ليس لك وجه مجيء إلينا. الغواية: مصدر غوى يغوي غياً وغواية، وهي الضلال والفساد. تنجلي: تنكشف وتذهب.

(٤) خرجت بها أمشي: أي خرجت بها من البيوت لأخلو بها. المرط: إزار خرز. المرحّل: الموشى.

(٥) أجزنا: قطعنا. الساحة: الفناء. حفف: رمل متعرج. ركام: بعضه فوق بعض. عَقَنَل: منعقد، متداخل.

هَضَرْتُ بِفُودَيَّ رَأْسَهَا فَمَا لَيْتُ
 عَلَيَّ هُضِيمَ الْكَشْحِ رِيًّا الْمَخْلُخَلُ^(١)
 إِذَا التَّفَتْتُ نَحْوِي تَضَوُّعَ رِيحُهَا
 نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيًّا الْقَرْنَفَلِ^(٢)

إنه في هذه اللوحة الفنية يظهر على عكس ما كان فيه في اللوحة السابقة فيأتي بخيالات ربما لم تكن في الواقع. ويصور نفسه وكأنه قد استطاع الوصول إلى عقيلة من عقائل قوم يبالغون في رعايتها والمحافظة عليها. واستطاع بقدرته وذكائه الوصول بعدما تجاوز الحراس، وبعدهما تخطى الأهوال والصعاب من أجلها، وصل إليها بعدما تخطى الليل ومضى منه وقت طويل، إذ إنها كانت في ثياب النوم لا ترتدي إلا غلالة. ولما رآته تعجبت من حنكته واحتياله ونجاته من كل الأهوال والأخطار. وإنه لم يقف في صورته عند هذا الحد بل تجاوزه مبالغاً في صنع المعجزة التي نذر نفسه إليها، وتمادى في عمله، إذ أخذها معه بعيداً عن مضارب العشيرة، وهداها تفكيرها إلى إخفاء معالم أثرهما بجري ثيابها وراءهما. إلى أن وصلا إلى مكان بعيد أمين وحصين. وهناك تضرع طيبها وأريجها في شتى الأنحاء والأرجاء، فهب النسيم من عمق ليل حالم عطراً شديداً.

(١) هضرت: جذبت. بفودي رأسها: بجاني رأسها. هضيم: ضامر. المخلخل: موضع الخلخال.

(٢) تضرع: فاح وانتشر. النسيم: تحرك الريح بلين ورقة. الريا: الرائحة.

٤ - مع امرأة :

ويقول في هذا(*) :

سموتُ إليها بعدما نام أهلها
سُمُو حَبَابِ الماءِ حالاً على حالٍ^(١)
فقلتُ سبّاك الله إنك فاضحي
ألست ترى السُّمَّارَ والنَّاسَ أحوالي^(٢)
فقلتُ يمين الله أبرح قاعداً
ولو قُطِّعُوا رأسي لديك وأوصالي^(٣)
حلفتُ لها بالله حلفة فاجر
لنأموا، فما إن من حديثٍ ولا صالٍ^(٤)
فلما تنازعنا الحديثَ وأسمحتُ
هصرتُ بغضنٍ ذي شماريخٍ مَيَّالٍ^(٥)

(*) الديوان : ص - ١٢٤ - ١٢٥ .

- (١) سموت إليها : نهضت وذهبت ووصلت إليها . حباب الماء : طرائفه . سمو حباب الماء : يعني كنت في ذلك كحباب الماء وهو يعلو بعضه بعضاً في رفق ومهل . حالاً على حال : أي شيئاً بعد شيء ، حتى صرت إلى الذي أردت .
- (٢) سبّاك الله : باعدك الله وفضحك . وإنما قالت ذلك له خوفاً من الفضيحة .
- (٣) أبرح قاعداً : لا أبرح قاعداً في مكاني . أوصالي : مفاصلي .
- (٤) حلفة فاجر : يمين فاسق . لنأموا : لقد ناموا . الصالي : المستدفيء بالنار .
- (٥) أسمحت : لانت وانقادت . هصرت : جذبت . هصرت بغضن : أي أملت لها إلي كما أميل الغصن اللين .

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا
 ورُضْتُ، فذُلْتُ، صَغْبَةٌ، أي إذلال^(١)
 فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلمها
 عليه القتام سيء الظن والبال^(٢)
 يَغُطُّ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدُّ وَثاقِهِ
 ليقتلني والمرء ليس بقتال^(٣)
 أيقتلني والمشرقي مضاجعي
 ومسنونة زرق كأياب أغوال^(٤)
 وليس بذئ رمح فيطعنني به
 وليس بذئ سيف وليس بنبال^(٥)
 أيقتلني وقد شغفت فؤادها
 كما شَغَفَ المهنوءَ الرجلُ الطالِي^(٦)

(١) صرنا إلى الحسنى: أي إلى ما نحب من الأمور. رق كلامنا: كان بصوت منخفض كأنه همس لئلا يشعر بنا أحد، ورُضْتُ: ذللت الصعب منها. أسمعُ: انقادت وسهلت بعد صعوبتها وامتناعها. ذي شماريخ: شعر يشبه شماريخ النخلة لغزارته وتداخله. مَيَال: لين، يميل ويشي بركة ورشاقة.

(٢) معشوقاً: محبوباً، القتام: الغبار. سيء الظن: ساء ما رآه منها، أو ما لاحظته على سلوكها، وشعورها نحوه.

(٣) يَغُطُّ: يردد صوتاً كصوت المختنق. البكر: الفتى من الإبل. شد خناقهِ: وضع حبل حول عنقه ليراض به. ليس بقتال: لا يقدر على القتل.

(٤) المشرقي: السيف المنسوب إلى الشام. مسنونة زرق: سهام مسنونة، حلدة. الأغوال: الشياطين.

(٥) النبال: صانع النبال، ويقصد هنا النابل، أي الرامي.

(٦) شغفت فؤادها: بلغ حبي شغاف قلبها. المهنوء: الناقة المطلية بالفطران.

وقد علمتُ سلمى وإن كان بعلمها
 بأن الفتى يهذي وليس بفعل^(١)
 وبیت عذارى يوم دجن ولجته
 يُطفن بجماء المرافق مكسال^(٢)
 سباط البنان والعرانين والقنا
 لطاف الخصور في تمام وإكمال^(٣)
 نواعم يتبعن الهوى سبل الردى
 يقنن لأهل الحلم ضلاً بتضلال^(٤)
 صرفت الهوى عنهن من خشية الردى
 ولست بمقلي الخلال ولا قال^(٥)

يظهر الشاعر هنا بمظهر الممتنع، الذي يجد الأسباب كلها
 ميسرة، والسبل أمامه ممهدة، ولكنه يخشى أن يلحقه العار،
 وتحقيق به الإهانة إذا افتضح أمره، واكتشف سرّه. فينصرف سالماً
 حفاظاً على كرامته وعنفوانه.

-
- (١) الفتى: يزيد زوجها. يهذي: يقول ما لا يعقل من التهديد والوعيد. ليس
 بفعل: لا يفعل شيئاً.
- (٢) الدجن: لباس الغيم السماء. ولجته: دخلته. جماء المرافق: غائبة عظم
 المرقق لكثرة لحمها ونعمتها. مكسال: بطيئة عن العمل لغضارتها ونعمتها.
- (٣) سباط البنان: طوال الأصابع. العرانين: الأنوف. القنا: القامات.
- (٤) يتبعن الهوى سبل الردى: هواهن يؤدي إلى الهلاك. أهل الحلم: العقلاء.
- (٥) الردى: الموت والهلاك. خشية الردى: خوف الفضيحة. مقلي: مكروه. الخلال:
 الخصال والصدقة.

الذكرى والحنين :

في هذا الموضع تتوالى لديه صور الحنين والذكريات، صور الفراق والارتحال. وما حلّ بالمضارب والمنازل والديار، التي كانت مربعاً، وملعباً للحبية، وكانت مشاعره تشار حينما تقع عينه على تلك الديار المهجورة، المتروكة، المنسية ديار الأنس والبهجة والطمأنينة، التي أصبحت موحشة مقفرة، وأصبحت الديار أطلالاً لا أثر فيها إلا ويشير لوعة وأسى. عند هذا يطلب من صاحبيه أن يقفا. ويقول(*):

فما نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(١)
فتوضّع فالمقراة لم يعف رشمها
لما نسجتها من جنوب وشمال^(٢)
ترى بعر الأرام في عرصات^(٣)
وقيعانها كأنه حب فلفل^(٣)

(*) الديوان - ص ١١٠ - ١١١.

(١) السقط: منقطع الرمل. اللوى: حيث يتلوى الرمل. الدخول وحومل: بلدان.

(٢) توضّع فالمقراة: موضعان. لم يعف: لم يذهب ولم يدرس. الرسم: الأثر. جنوب: ربيع جنوبية. شمال: ربيع شمالية.

(٣) الأرام: جمع رثم، وهي الظباء البيض. العرصات: جمع عرصة، وهي الساحة. القيعان: جمع قاع وهو موضع استجماع الماء.

وقوفاً بها صحي على مطيهم
يقولون لا تهلك أسي وتجمّل^(١)
وإن شفائي عبرة إن سفحتها

فهل عند رسم دارسٍ من مُعُولٍ^(٢)
عندما رأى آثار الديار الخالية، طلب من صاحبيه الوقوف
بجانبه. فقد هاجت ذكرياته، عندما وجد الديار موحشة. وثارت
لوعته، لما آل اليه المنظر، فبعد أن كان موطن الجمال، صار
مسكن الوحوش، ومصدر الهموم. ولم يقف عند هذا الحد بل
انهمرت الدموع من عينيه، ويحاول صاحباه أن يخففا الأسي عنه
ولكنه يتساءل: هل يجدي البكاء عند رسوم الأطلال.

لكننا إذا نظرنا إلى المعنى العام بنظرة استحداث للتراث، نرى
فيه ما يناسب الواقع. إذ أنه يبكي الأرض المتروكة بلا حراثة ولا
زراعة. ويبكي حال الناس الذين لا يتعلقون بالتراب وبالثرى.
ليس هذا فقط بل نراه في مواضع كثيرة يصف موكب الرحلة،
ويقول^(٣):

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ
سَوَالِكْ نَقْباً بَيْنَ حَزْمِي شَعْبَعِب^(٣)

-
- (١) المطي: الإبل. تجمل: تصبر وتجلد وتحمل.
(٢) العبرة: الدموع. سفحتها: صبتها. رسم: أثر. دارس: ذهب معالمه.
معول: جدوى ونفع.
(٣) الديوان - ص ٣٠ - ٣١.
(٣) الظعائن: النساء في اليهودج. النقب: الطريق في الجبل. شععب: اسم ماء.

عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةَ فَوْقَ عِقْمَةٍ
 كَجَرْمَةٍ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةٍ يَثْرِبُ^(١)
 فَلِلَّهِ عَيْنِنَا مَنْ رَأَى مَنْ تَفَرَّقِ
 أَشْتُ وَأَنَايَ مِنْ فِرَاقِ الْمَحْصَبِ^(٢)
 فَرِيقَانِ: مِنْهُمْ جَازَعُ بَطْنِ نَخْلَةٍ
 وَآخَرُ مِنْهُمْ قَاطِعُ نَجْدٍ كَبْكَبِ^(٣)
 فَعَيْنَاكَ غَرْبًا جَدُولٍ فِي مَفَاضَةٍ
 كَمَرُ الْخَلِيجِ فِي صَفِيحِ مُصَوَّبِ^(٤)

يبين في هذه الصورة أن موكب الرحلة قد سار في طريق بين مرتفعين . وكانت النساء في الهوداج يظهرن في منظر جميل وبهي . وأن القوم تفرقوا كل إلى وجهته أما صاحبنا فقد آلمه المنظر، وانهمر الدمع من عينيه شوقاً ولوعة .

وفي منظر آخر يصور رغبته في الذهاب إلى الحبيبة بعد

(١) علون بأنطاكية : غطين بلباب أنطاكية . جرمة نخل : ما يقطع من البلح . الجنة : البستان .

(٢) فلله أمر من رأى : يعظم أمر الفراق . أناي : أشد بعداً . المحصب : المكان الذي ترمى فيه الجمار بمدينة منى .

(٣) بطن نخلة : بستان ابن مغمّر . النجد : المرتفع . كبكب : اسم جبل .

(٤) الغريان : مثنى غرب وهو الدلو . الجدول : النهر الصغير ، والمراد به هنا البشر . المفاضة : الأرض الواسعة . الخليج : النهر المتفرع من نهر أعظم . الصفيح : الحجارة العريضة على جانبي النهر . المصوب : المنحدر .

ارتحالها، لكنه يدرك أن ما بينه وبينها أخطار جسام، ويقول(*):

أَمِنْ ذَكَرِ سَلَمَى أَنْ نَأْتِكَ تَنْوِصُ
فَتَقْصِرُ عَنْهَا خُطْوَةً أَوْ تَبْوَصُ^(١)
وَكَمْ دُونَهَا مِنْ مَهْمَةٍ وَمَفَازَةٍ
وَكَمْ أَرْضُ جَذْبِ دُونِهَا وَلِصْوَصُ^(٢)

وفي موقف آخر نراه في حيرة، لأنه محتاج إلى معرفة شعورها
بعد الفراق فيتساءل(*):

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ حَادَثُ وَصْلِهَا
وَكَيْفَ تُرَاعِي وَصْلَةَ الْمَتَغَيِّبِ^(٣)
أَدَامَتْ بَيْنَنَا عَلَى مَا مِنْ مَوْدَّةٍ
أَمِيمَةٍ أَمْ صَارَتْ لِقَوْلِ الْمُخَبِّبِ^(٤)

وأخيراً نراه وكأنه يجيب سائلاً يسأله عن رأيه في المرأة وما
تحب فيجيب:

(*) الديوان - ص ٩١ - ٣٠ - ٨٦.

(١) نأتك: بعدت عنك. تنوص: تحول. تقصر عنها خطوة: تحبس عنها خطوة.
تبوص: تسبق.

(٢) المهمة: الأرض البعيدة التي لا أنيس فيها.

(٣) كيف حادث وصلها: أي هو ثابت أم متغير. وكيف تراعي وصلة المتغيّب: هل
تحفظ وصالي وتدوم على محبتي، وأنا غائب؟.

(٤) المخبب: المفسد الذي يعلمها المكر والفساد.

أراهن لا يُخْبِن مَنْ قَلَّ مَالُهُ

ولا من رَأَى الشَّيْبَ فِيهِ، وقوساً^(١)

إنه يرى أنهم لا يخبين الرجل الفقير، ولا من هرم وكبر وشاب شعره، وتقوس ظهره نتيجة الكبر.

لقد تهيأت الظروف والأسباب لامرئ القيس، فصدر عنه هذا اللون من الغزل الرقيق، بأسلوب قصصي يصور فيه ما يختلج في النفس الإنسانية وما يدور بنفسه المنحرفة التي تخلت عن كل ألوان المسؤولية، وحرمت من التوجيه والإرشاد.

وقد لعب الخيال دوراً كبيراً في إبراز هذه الصور التي تمثل أوهام الشباب وظهرت لديه الحيلة وسعة الخيال، والموهبة الطبيعية مما جعله يغزو قلوب النساء بسلاح الكلمة الرقيقة والمعاني الأنيقة.

- الطرد والقنص:

يمثل هذا الجانب في شعر امرئ القيس، لوناً من ألوان النشاط الانساني، ولعباً فردياً وجماعياً، يمارسه الانسان في أوقات محددة، ويرفه عن نفسه في الطبيعة التي هي أم الجمال والعطاء. وهذا الجانب هو رياضة وفتوة لا يزال الكثيرون يمارسونها حتى وقتنا الحاضر.

(١) أراهن: يعني النساء. وقوس: انحنى ظهره لكبر سنه.

والشاعر هنا يعرض لنا صوراً لمناظر مختلفة. فحيناً نراه على صهوة جواده وحيناً على فرس تكاد تطير به. وهذه الصور كثيرة في شعره تمثل منها هذه المقاطع الدالة والموحية على قصدنا(*) :

- وقد اغتدي والطيْرُ في وُكُناتها
 بمنجردٍ قيدِ الأوابد هَيْكَلِ^(١)
 مَكْرٌ، مِفْرٌ مَقْبَلِ مدبرٍ مَعاً
 كجلمودٍ ضَخِرَ حَطُّهُ السَّيْلُ من عَلِ^(٢)
 كُفَيْتِ يَزِلُّ اللَّبْدُ عن حَالِ مَتْنِهِ
 كما زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمَتَنَزَّلِ^(٣)
 مَسَحَ إِذَا ما السَّابِحَاتُ على الونى
 أَثَرْنَ غُبَاراً بالكديدِ المَرْكَلِ^(٤)

(*) الديوان - ص ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠.

(١) منجرد: فرس قصير الشعر. الأوابد: الوحش. الهيكل: الفرس الضخم.

(٢) مكر مفر: متعود على الكر والفروهما الإقبال والإدبار. الجلمود: الصلب الشديد النفاك.

(٣) يزل: ينزلق. مته: ظهره. الحال: موضع اللبد من ظهره، يريد أن الحصان أُمس يزلق اللبد، الصفواء: الصخرة الملساء. المتزل: النازل عليها.

(٤) مسح: يتابع في جريه بسهولة وسرعة مثل مسح المطر وهو انصبابه. السابحات: التي تبسط يديها إذا عذت فكانها تسبح. الونى: الفئور والتعب. الكديد: ما غلظ من الأرض. المركل: الذي ركلته الخيل بحوافرها، فاثارت الغبار لصلابتها وشدة وقعها.

على العقب جِئاشٍ كأنَّ اهتزامه
 إذا جاش فيه حميه غلي مِرْجَلٍ (١)
 يُطِيرُ الغلامَ الخِفَّ عن صَهواته
 ويُلوي بأثواب العنيف المثقل (٢)
 دَرِيرٍ كخذروف الوليد أمره
 تُقَلِّبُ كَفْيِهِ بخيط مُوَصَّلٍ (٣)
 له أَيْطَلَا ظَنِّي وساقاً نعامية
 وإرخاء سِرْحانٍ وتقريبُ تَنَفُّلٍ (٤)
 كأنَّ على الكتفين منه إذا اتَّحَى
 مَدَاكُ عَرُوسٍ أو صَرَايَة حَنْظَلٍ (٥)

(١) العقب: جري بعد جري. اهتزامه: صوت جوفه عند الجري. حمي: غلي
مرجل: قدر.

(٢) الخف: الخفيف. الصهوات: جمع صهوة، وهي موضع اللبد من ظهره،
وجمعها يقصدها وماحولها. أي أن هذا الحصان يسقط الغلام الخفيف عن
ظهره لسرعته وشدة دفعه. يلوي بأثوابه: يذهب بها ويسقطها من شدة عدوه.
النيف: الأخرق. المثقل: الثقل الذي لا يحسن الركوب.

(٣) درير: سريع خفيف. الخذروف: لعبة يلعبها الصبيان لها صوت وهي سريعة
الحركة. خيط موصل: لعب به كثيراً فتقطع فوصل.

(٤) الأيطل: الخاصرة. الأرخاء: سير ليس بالشديد. السرحان: الذئب التفل:
ولد الثعلب.

(٥) مداك العروس: الحجر الذي يسحق عليه الطيب. الصراية: الحنظلة
الصفراء.

وِبَاتٌ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجَامُهُ
 وَِبَاتٌ بَعِينِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلٍ ^(١)
 فَعَنْ لَنَا سَرْبٌ كَأَنَّ نَعَاجَهُ
 عَذَارَى دَوَارٍ فِي الْمَلَأِ الْمَذِيلِ ^(٢)
 فَأَدْبَرْنَ كَالْجَزَعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ
 بِحَيْدٍ مُغَمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخَوِّلٍ ^(٣)
 فَالْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ
 جَوَاجِرُهَا فِي ضَرْةٍ لَمْ تَزِيلِ
 فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ
 دِرَاكًا وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلَ
 وَظَلَّ طُهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضَجٍ
 صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ
 وَرُخْنَا وَرَاحَ الطَّرْفُ يَنْفُضُ رَأْسَهُ
 مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْهَلُ
 كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بَنَحَرِهِ
 عُصَارَةٌ جَنَاءٍ بِشَيْبٍ مُرْجَلٍ

(١) بات عليه سرجه ولجامه : كان معداً للصيد في الصباح . مرسل : بعيد .

(٢) عَنْ : عرض وبان . نعاجه : إناته . دوار : صنم من أصنام الجاهلية . الملاء : الملاحف . المذيل : الطويل ذو الأهداب .

(٣) الجزع : الخرز . المفصل : الذي فصل بينه باللؤلؤ . جيد : عتيق . مخول : صبي كريم العم والخال .

وانت إذا استدبرته مدّ فرجه

بضاف فوق الأرض ليس بأعزل

في هذا المقطع صور كثيرة ومتنوعة منها: صورة الحصان، وبقر الوحش، والطهاة وحال الحصان بعد المجهود الذي بذله في العمل. فالحصان أعد للصيد ليلاً، لأن الرحلة في الصباح الباكر، والحصان نفسه يعرف هدفه وغرضه إذ أنه يخرج نحو هدفه قبل أن تغادر الطيور أوكارها. وهو جواد كريم أصيل، ملء العين والفؤاد، ضخم، ضامر، قصير الساقين، طويل الفخذين. فيه قوة تؤهله للسيطرة على الوحوش، وحبس أنفاسها. وظهره أملس ناعم حتى أن اللبد ينزلق عليه سريعاً بمجرد لمسه. ثم يبدأ الحصان بالجري. فينطلق كالسهم، بحيث لو ركبته غلام خفيف لطار بعيداً عن صهوته، ثم لاح له من بعيد قطيع من البقر الوحشي، بيض اللون طوال الذيل، يدور ويلعب في مرح ونشاط. فاندفع الحصان نحوه وضرب نطاقاً حصيناً حوله، وجمع الحصان بين أواخر القطيع وأوائله، ولم يفت منه شيء. وصرع كثيراً من النعاج دون أن يظهر عليه أي جهد وتعب. وأخيراً أتى دور الطهاة، فأعدوا الطعام، ثم جاءت المائدة وعليها أصناف الأطعمة. حيث كان الشاعر مرتاحاً لهذا المنظر الرائع. ومستأنساً بحصانه، إذ كان ينظر إليه من ناصية رأسه حتى ذيله المنسق الجميل.

ونشاهد في هذا المنظر وصفاً آخر للحصان، فيه تجسيم،

وصور متعددة للفارس وحركات الحصان، والحيوانات، والخدم،
وللرحلة الطويلة من بدايتها حتى نهايتها^(*).

وقد أغتدي والطيرُ في وَكُنَاتِهَا
وماء الندى يجري على كل مِذْنَبٍ^(١)
بمنجرد قيد الأوابدِ لآخه
طرادُ الهوادي كلُّ شأو مُغْرِبٍ^(٢)
على الأبن جَبَاشٍ كأن مَرَاتِه
على الضُّمَرِ والتَّعْدَاءِ سَرْحَةٌ مَرْقَبٍ^(٣)
يُباري الخنوفَ المستَقِلُ زَمَاعُه
تَرى شَخْصَهُ كأنه عُودٌ مِشْجَبٍ^(٤)
له أبطالا ظبي وساقا نعامِ
وصهوةٌ غَيْرُ قَائِمٍ فَوْقَ مَرْقَبٍ^(٥)

(*) ص - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥.

- (١) المذنب: سيل الماء إلى الروضة. الندى: المطر.
(٢) الهوادي: السابقة. لآخه: أضمره، طراد: مطاردة. الشأو: الطلق. مغرب:
بعيد.
(٣) الأبن: التعب. التعداء: كثرة العدو. السرحة: ما عظم من الشجر وطال.
المرقب: الأرض المرتفعة.
(٤) الخنوف: الذي يرمي يديه في السير. المستقل: القليل. عود مشجب: ضامر
أملس.
(٥) صهوة: ظهر.

ويخطو على صُم صلاب كأنها
 حجارة غِيلٍ وإرساتٍ يطْحَلِبُ^(١)
 له كفلٌ كالِدَعَصِ لَبْدُهُ النَّدَى
 إلى حاركٍ مثل الغبيط المذأبِ^(٢)
 وعينٌ كمرآة الصُّنَاعِ تُديرها
 لمخجِرِها من النُصَيْفِ المنقَبِ^(٣)
 له أذنان تعرف العتقَ فيهما
 كسَامِعَتَي مَذْعُورَةٍ وَمُطَّرَبٍ^(٤)
 ومُسْتَفْلِكُ الذُّفْرِى كأنَّ عِناهُ
 ومُثَنَّاتُهُ في رأسٍ جِذْعٍ مَشْدَبٍ^(٥)
 وأَسْحَمُ رِيَانُ الْعَيْبِ كأنه
 عشاكيل قَنُوبٍ مِنْ سُمَيْخَةٍ مُرْطَبٍ^(٦)

-
- (١) الصم: الحوافر الصلبة. الغيل: الماء الجاري على الأرض. وارسات: مصفرات.
- (٢) الدعص: الكتيب من الرمل: لبده الندى: سقط الندى على الرمل فتماسك واشتد ولم يتساقط. المذأب: الموشع. الحارك: أعلى الكاهل.
- (٣) الصنّاع: الحاذقة بالعمل. المحجر: ما استدار حول العين. النصف: الخمار. المنقب: الذي تقنعت به.
- (٤) مذعورة: يعني بقرة وحشية قد ذعرت. الربرب: القطيع من البقر.
- (٥) المستفلك: المستدير. الذفري: عظم ناتئ خلف الأذن. المثانة: الحبل المشدود في رأسه.
- (٦) الأسحم: الأسود. ريان العيب: ممثلي الذنب. العشاكيل: الشمايخ. القنوب: المنقود.

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه
 تقول هزيرُ الريح مرّت بأتاب^(١)
 يُديرُ قطاةً كالمحالة أشرفت
 إلى سندٍ مثل الغبيط المذأب^(٢)
 ويخضدُ في الأريّ حتى كأنما
 به عُرةٌ من طائفٍ غيرِ مُعقِب^(٣)
 فيوماً على سربٍ نقيّ جلوده
 ويوماً على بيدانةٍ أمّ تولب^(٤)
 فبينا نعاَجُ برتعين خميلةً
 كمشي العذارى في الملاء المهذب^(٥)
 فكان تنادينا وعقد عذاره
 وقال صحابي قد شأونك فاطلب^(٦)

-
- (١) الشأوان: مثني شأو، وهو السريع. ابتل عطفه: سال عرقه على جانبيه. هزير
 الريح: صوتها. الأتاب: شجر.
 (٢) القطاة: مقعد الردف. المحالة: البكرة العظيمة. أشرفت: مشرف مرتفع.
 مذأب: له ذئب، جمع ذئبة وهي الفروج.
 (٣) يخضد في الأري: يكسر الأواخي. العر: الجرب.
 (٤) السرب: القطيع من بقر الوحش. نقيّ جلوده: يريد بياض جلوده. البيدانة:
 الأنان الوحشية المكتنزة الجسم. التولب: الجحش.
 (٥) النعاَج: إناث بقر الوحش. الخميلة: رملة فيها شجر. المهذب: ذو الهدب.
 (٦) تنادينا: نداء بعضنا بعضاً. عقد عذاره: ربطه. شأونك: سبقك.

فَلَايَا بِلَايٍ مَا حَمَلْنَا وَلَيْدَنَا
 عَلَى ظَهْرٍ مَجْبُوكِ الشَّرَاقِ مُحْنَبٌ^(١)
 وَوَلَّى كَشُؤْبُوبِ الْعَشِيِّ بِوَابِلِ
 وَيَخْرُجْنَ مِنْ جَفْدِ ثَرَاهِ مُنْصَبٌ^(٢)
 فَلِلْسَاقِ أَلْهَوْبُ وَلِلْسُوطِ دِرَّةُ
 وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعُ أَهْوَاجِ مُنْعَبٌ^(٣)
 فَادْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَشَاوَهُ
 يَمُرُّ كَخَذَرُوفِ الْوَلِيدِ الْمُثْقَبِ^(٤)
 تَرَى الْفَارَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْقَاعِ لَاحِبًا
 عَلَى جَدَدِ الصَّحْرَاءِ مِنْ شَدِّ مُلْهَبٍ^(٥)
 خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا
 خَفَاهُنَّ وَذَقَّ مِنْ عَيْشِي مُجَلَّبٍ^(٦)

(١) لاي: جهد. المَجْبُوكِ: القوي المجدول. المحنَّب الذي في يديه وصلبه انحناء.

(٢) شُؤْبُوبِ الْعَشِيِّ: أغزر من غيره. المنصب: المرتفع.

(٣) أَلْهَوْبُ: لهيب. لِّلْسَاقِ أَلْهَوْبُ: إذا حركه بساقه أَلْهَبُ الجري. أَهْوَاجِ: لا عقل له.

(٤) لَمْ يَشَاوَهُ: أدرك الوحش بسرعة فائقة.

(٥) الْقَاعُ: بطن الأرض. الْجَدَدُ: ما استوى من الأرض وصلب. مُلْهَبُ: شديد الجري وملتهبه.

(٦) خَفَاهُنَّ: أظهرهن. الْوَدَقُ: المطر. مُجَلَّبُ: تسمع له جلبة لشدة وقعه.

فعادى عِداءً بين ثور ونعجة
 وبين شُبُوبٍ كالقضيمة قره^(١)
 وظلّ لثيران الصَّريم غماغم
 يُداعِبُها بالسَّمَهرِي المصلَّب^(٢)
 فَكَابَ على حُرِّ الجبين ومُتَقٍ
 بِمَذْرِيَّةٍ كأنها ذَلَقُ مشعَب^(٣)
 وقلنا لفتيان كرامٍ ألا انزلوا
 فعَالُوا علينا فضل ثوب مطنَّب^(٤)
 وأوتاده ماذية وعماده
 رُدَيْنِيَّةٌ فيها أسِنَّةٌ قَعُضِب^(٥)
 وأطنابُه أشطانُ خوصٍ نجائب
 وصَهْوَتُه مِن أنْحَمِي، مُشْرَعِب^(٦)

-
- (١) عادى عداء: تابع ووالى صيد الوحش، بين ثور ونعجة. شُبُوب: ثور من.
 (٢) الصريم: المنقطع من الرمل. غماغم: أصوات. السمهري: الرمح الشديد.
 (٣) الكابي: الساقط على وجهه. المذرية: القرن. الذلق: الحد. المشعب: الإشفي، وهو مخرز يشعب به.
 (٤) عالوا علينا: ارفعوا علينا. المطنَّب: المشدود بالأطناب، وهي حبال الخباء.
 (٥) الماذية: الدروع الصافية اللينة. الردينية: رماح منسوبة إلى ردينة، وهي امرأة كانت تقوم الرماح. قعضب: رجل يقال إنه زوج ردينة.
 (٦) أشطان: حبال. خوص: غائرة العيون. الأنحمي: نوع من برود اليمن. مشرعب: منوع.

فلما دخلناه أضفنا ظهورنا
إلى كل حاريٍّ جديدٍ مشطٍ (١)
كأن عيون الوحش حول خبائنا
وأزحلنا الجزع الذي لم يشق (٢)
نمش بأعراف الجياد أكفنا
إذا نحن قمنا عن شواء مضهب (٣)
ورحنا كأننا من جوائى عشية
نعالى النعاج بين عذلٍ ومُحَقِّب (٤)
وراح كتيس الرِّبل ينفض رأسه
أداةً به من صائكٍ مُحَلِّب (٥)

في هذه الصورة من صور الطرد والقصص، لا يخرج للصيد مبكراً فقط، بل في الغلس ليلحق الطيور في أعشاشها. وكان ذلك في ليلة ماطرة، فركب صهوة جواده الذي اعتاد على مطاردة الوحوش في الأرجاء الواسعة، وهو حصان سريع، ضخيم، مرتفع، يسبق الوحوش، ضامر الخصر، صلب الساق، معتدل

(١) أضفنا ظهورنا: أملناها وأسندناها. مشط: فيه مدارج كمدارج النمل.

(٢) الجزع: الخرز.

(٣) نمش: نمش. المضهب: الذي لم يدرك نضجه.

(٤) رحنا: عدنا. جوائى: قرية بالبحرين تمرها لذيد. محقب في الحقائق.

(٥) الربل: نبت ينبت ببرد الماء لا بالمطر. الصائك: العرق الثقيل الريح.

الظهر، قوي الحوافر، صافي العين، حاد السمع. وهذه الصفات تدل على أصالة الحصان.

ويظهر من بعيد قطع من بقر الوحش يختال في مشيته. فترتفع الأصوات بالإسراع نحوه. فيتحرك الحصان بقوة وشدة فزلزل الأرض تحت قدميه وأحدث خفيفاً أفزع الفئران فتركت أنفاقها وهربت، وأدرك القطيع في انطلاقة واحدة. وأخذ يصول ويجول حتى قتل وصرع منه كثيراً، ثم انتهت المعركة فطلب من فتيان معه أن يعدوا العدة للراحة. فأعدوا بيتاً أوتاده دروعهم، وعماده رماحهم، وأطنا به حبال دوابهم، وسقفه أنواع من البرود اليمانية. ثم أعد الطعام اللذيذ، وفي النهاية وعند المساء يقفل راجعاً مع أصحابه، مع اللحم الكثير، والصيد الوفير.

إن الشاعر هنا يظهر بمظهر الصياد البارع المحنك، الخبير بأحسن وسائل الصيد وأساليبه، إنه فنان في هذا المجال، وفي كل مجال طرق باب. كذلك يظر لنا الشاعر بمظهر الترف والرفاهية؛ فهو يأخذ معه مساعدين من الفتيان، والخدم، والطهاة، كي يسهروا على راحته ويؤمنوا له كل أسباب الراحة.

فشعره في هذا المجال يدل على اهتمامه بالطرد والقنص واعتناؤه بالخيل، وحبه للرياضة، وحبه للظهور بمظهر الخبير، الفطن، الميال إلى الرفعة والمجد.

الطبيعة في شعره :

حظيت الطبيعة بنصيب ملحوظ في شعر امرئ القيس ، فصور كثيراً من ظواهرها الحية والصامتة ، الساكنة والمتحركة . وفي هذه المتناقضات نلاحظ صوراً لحيوانات مختلفة ، ووقف أمام الظواهر الحيوية التي أثارت اهتمامه وحركت مشاعره ، فسجل كل ما شاهده بأمانة وصدق ، ولون بالكلمات حتى أتت صورته ناطقة أو تكاد . ومن هذه الصور :

١ - الناقة (*) :

فَدَعْ ذَا وَسَلْ الْهَمُّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ
ذُمُولٌ إِذَا صَامَ النَّهَارَ وَهَجَّرًا^(١)
تَقَطَّعُ غَيْطَانًا كَانَ مُتَوْنَهَا
إِذَا أَظْهَرَتْ تُكْسَى مَلَأَ مُنْشَرًا^(٢)
بَعِيدَةً بَيْنَ الْمُنْكِبِينَ كَأَنَّهَا
تَرَى عِنْدَ مَجْرَى الضَّفَرِ هَرًّا مُشْجَرًا^(٣)
كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامَهَا
إِذَا نَجَلَّتْهُ رِجْلُهَا خَذَفُ أَعْسَرًا^(٤)

(*) الديوان ص ٦٣ .

(١) جسر : ناقة نشيطة ، الذمول : السريعة السير ، هجر : اشتد حره .

(٢) تكسى ملاء منشراً : تنشر عليها السراب وقت الظهيرة وتوهج الحر ، فكساها بما يشبه البياض .

(٣) بعيدة بين المنكبين : يقصد سعة صدرها .

(٤) الخذف : الرمي بالحصى ونحوه . نجلته : فرقته ورمته به .

كَأَن صَلِيلَ الْمَرْوَحِينَ تُطِيرُهُ صَلِيلُ زَيْوَفٍ يَنْتَقِذُنْ بَعْبَقِرَا^(١)

هذه الصورة من صور التسلية، ووسيلتها الناقه، فمن خلال الوسيلة يهرب الشاعر مع أحلامه لينسى الحزن، ويتحقق ذلك على ظهر ناقه سريعة معتادة على الصعاب وفي أشد الأوقات حرًا وتوهجًا، حيث السراب يلف الأرجاء والأنحاء، إنها قوة الجسم، متباعد بين كتفها. وصدرها واسع لا يضيق بالنفس مهما بذلت من جهد. وهي تجري كالخائف المرتاع فيتطاير الحصى من مناسمها، ويتفرق في كل اتجاه محدثًا صوتًا عاليًا شديدًا.

٢ - البقر الوحشي :

جاءت صور البقر الوحشي في أثناء صور الصيد، وقد رأينا بعض النماذج منها في وصف الصيد والقنص. ويظهر البقر الوحشي في مجمل صورهِ بلون أبيض جميل، وأذنان طويلة، وفي أرجلها خطوط بيضاء وسوداء. وحينما تكون في خوف من خطر داهم تحدث أصواتاً تتردد في الأرجاء، وهي حيوانات سريعة جداً.

٣ - النعام :

استغلت صور الذكر من النعام وهو عائد إلى البيض من مكان

(١) الصليل: الصوت . المرو: الحجارة. تطيره: تفرقه. زيواف: رديئة. عبقر: موضع باليمن.

بعيد لتصوير سرعة الناقة القادرة على الوصول إليه، ففي إحدى الصور يقول الشاعر(*):

كأنني ورحلي والقِرَابَ ونُمرُقي
على يَرْفُني ذِي زوائدٍ نَقْنِقِي^(١)
تَرْوُحَ مَنْ أَرْضَ لَأَرْضٍ نَطِيَّة
لذكرةٍ قِضٍ حَوْلَ بَيْضٍ مُفْلَقِي^(٢)
يجول بِآفاقِ الْبِلَادِ مُغْرِباً
وَتَسْحَقُهُ رِيحُ الصَّبَا كُلِّ مَسْحَقٍ^(٣)

لقد ذهب الظليم بعيداً عن بيضه، وعندما تذكره في المساء هلع وخاف لأنه أمسى بعيداً عنه، وينطلق بسرعة من أرض بعيدة، حتى يدرك بيضه ويطمئن.

٤ - الصقر :

الصقر طائر مشهور بقوته وسرعة انقضاضه على فريسته. ذو نظر حاد جداً. وقد استخدمه الشاعر كرمز في إبراز قوة حصان يركبه

(*) الديوان - ص ١٠٤ .

(١) القِرَاب: غلاف. اليرفني: الظليم، وهو ذكر النعام. النقنق: اسم من أسماء الظليم.

(٢) ترووح: راح هذا الظليم إلى بيضه في المساء. نطية: بعيدة.

(٣) يجول: من الجولان، أي الذهاب والمجيء. آفاق البلاد: نواحيها. مضرباً: مبعداً ذاهباً. تسحقه: تبعده وتذهب به.

الغلام الذي يساعده في رحلات الصيد، وقال فيه (٢٠) :

كَأَنَّ غُلَامِي إِذْ عَلَا حَالَ مَتْنِهِ
عَلَى ظَهْرٍ بَازٍ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٍ (١)
رَأَى أَرْنَبًا فَانْقَضَ يَهُوِي أَمَامَهُ
إِلَيْهَا وَجَلَّاهَا بِطَرْفٍ مُلْقَلَقٍ (٢)
٥ - اللَّيْلُ (٢٠) :

يقول في ذلك :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ
عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي (٣)
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصَلْبِهِ
وَأَرْدَفَ أَعْجَازَ أَوْ نَاءٍ بِكُلِّكَ لٍ (٤)
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي
بِصَبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمْثَلٍ (٥)
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ
بِكُلِّ مَضَارِ الْفَتْلِ شَدَتْ بِيَذْبَلٍ (٦)

(*) (٢٠) الديوان ص ١٠٦ - ١١٧ .

(١) حال متنه : حال فرسه .

(٢) رأى أرنباً : أي الباز . يهوي : يدنو . ملقلاق : حاد لا يفتر .

(٣) سدوله : ستوره . ليبتي : ليختر ما عنده من الصبر والجزع .

(٤) تمطى : امتد . ناء : نهض . الكلكل : الصدر .

(٥) انجلي : انكشف . الإصباح : ظهور الصباح .

(٦) المضار : الشديد الفتل . يذبل : اسم جبل .

كَأَنَّ الثَّرِيَا عَلَّقَتْ فِي مَصَامِهَا
بِأَمْرَاسٍ كَتَانَ إِلَى صَمِّ جَنْدَلٍ^(١)

إِنَّ الصُّورَةَ هُنَا صُورَةُ لَيْلٍ طَوِيلٍ لَا نِهَآيَةَ لَهُ . إِنَّهُ لَيْلُ الْهَمُومِ
وَالْأَحْزَانِ وَالْكَآبَةِ . وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ الْقَاسِيَةِ رَمَزَ ظُلْمَةَ النَّفْسِ الْمَتَعَبَةِ
الْمُرْهَقَةِ مِنْ أَحْدَاثِ الْحَيَاةِ . وَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّ اللَّيْلَ سَيَبْتَلِعُهُ
وَيُخْفِقُهُ ، فَيَضْرَعُ إِلَيْهِ كَيْ يَخْفَى وَطَاةَ الْكَابُوسِ عَنْهُ ، وَأَنْ يُسَمِّحَ
لِلضُّوءِ أَنْ يَأْتِيَ كَيْ يَعِيدَ الطَّمَأْنِينَةَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَكِنْ الْأَمَلُ فِي ذَلِكَ
ضَعِيفٌ لِأَنَّ اللَّيْلَ ثَبَتَ بِأَمْرَاسٍ وَحِبَالٍ ، حَتَّى أَصْبَحَ ثَابِتَ الْبَنِيَانِ ،
وَطِيدَ الْأَرْكَانِ لَا أَمَلُ فِي زَحْزَحَتِهِ ، وَوَقَفَ أَمَامَهُ دُونَ حَرَكَةٍ وَلَا
حَيَاةٍ .

٦ - الْبَرْقُ وَالْمَطَرُ وَالنَّبَاتُ :

وَيَشْمَلُ هَذَا كُلَّهُ فِي قَوْلِهِ^(٢) :

أَحَارَ تَرَى بَرْقًا كَأَنَّ وَمِيضَهُ
كَتَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَبِّي مُكَلَّلٍ^(٣)
يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ
أَهَانَ السَّلِيطُ فِي الذَّبَالِ الْمَفْتَلِ^(٤)

(١) مَصَامِ الثَّرِيَا : مَكَانُهَا الثَّابِتُ . جَنْدَلٌ : صَخْرٌ .

(٢) الدَّبَّوَانُ ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) أَحَارٌ : يَا جَارِثُ . الْحَبِّي : مَا خَبَا مِنْ السَّمَاءِ وَهُوَ الْعَارِضُ الْمَرْتَفِعُ .

(٤) السَّنَا : الضُّوءُ . السَّلِيطُ : الزَّيْتُ .

فعدتُ له وصحبتي بين حَامِرٍ
 وبين إكَامٍ بُغِدَ مَا مُتَأَمِّلٍ (١)
 وأضحى يَسُحُّ الماءَ عن كل فَيْقَةٍ
 يَكُبُّ على الأذقان دوح الكنْهَلِ (٢)
 وتيماء لم يترك بها جذع نخلةٍ
 ولا أَطْمَأ إِلَّا مَشِيداً بجندلٍ (٣)
 كَانَ طَمِيَّةَ الْمُجِيمِرِ غُدُوَّةُ
 من السَّيْلِ والغثاء فلكةٌ مِغْزَلٍ (٤)
 كَانَ أَبَاناً من أفانين وذِقِه
 كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزْمَلٍ (٥)
 كَانَ سِبَاعاً فيه غرقى غُدِيَّةُ
 بأرجائه القصوى أنابيشُ عُنْصَلٍ (٦)

(١) حامر: موضع في بلاد عطفان.

(٢) يسح: يصب. الفيقة: ما بين الحليتين. الكنهل: الشجر الكبير.

(٣) تيماء: من أمهات القرى: الأطم: البيت المسقف المسطح المبني بالحجارة والجص. جندل: صخر.

(٤) طمية: اسم جبل. المجيمر: أرض لبني فزارة. الغثاء: ما يحمله الماء.

(٥) أبان: جبل. أفانين: أنواع. الودق: المطر. الجاد: كساء مخطط. مزمل: ملتف.

(٦) غدية: في الصباح الباكر. العنصل: بصل بري يعمل منه خل. الانابيش: ما يؤتى به من تحت الأرض.

على قَطْنٍ بِالشِّيمِ أَيْمُنُ صَوْبِهِ
وَأَيْسَرُهُ عَلَى السُّتَارِ فَيَذْبُلُ^(١)
وَالْقَى بِبُسَيَّانٍ مَعَ اللَّيْلِ بَرْكُهُ
فَاتَزَلْ مِنْهُ الْعُصْمُ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ^(٢)

في هذه الصورة نراه جالساً مع صاحبه الحارث وكان السحاب قد غطى السماء وسد الأفق، وتراكم حتى كثف وثقل. فوجه صاحبنا الطرف إليه فإذا بالبرق يضيء بنوره الأرجاء، والرعد يصم الأفق والأنحاء. ثم تفتح السماء أفواهاً كالقرب، ويهطل المطر بغزارة، ويندفع السيل بقوة وشدة، إذ يقتلع من أمامه الأشجار، ويهدم البيوت، ويزيل المنازل، حتى الوحوش في أماكنها وكهوفها خافت من شدة السيل، فتركت أوكارها وهربت إلى أماكن بعيدة طالبة النجاة، لكن البعض منها مات من شدة السيل وقوته خاصة السباع المشهورة بالسرعة والقوة. لكن للغيث فائدة هي إرواء الأرض الموات إذ تتحرك الحياة فيها وتنفرج عن أزاهير ورياض غناء.

ولا شك أن هذا الوصف للطبيعة يدل على قوة الملاحظة عند

(١) قطن: اسم جبل في بلاد بني أسد. الشيم: النظر إلى البرق والمطر ليعلم مكانهما. الصوب: نزول المطر. الستار ويذبل: جبلان مما يلي البحرين.

(٢) بيسان: جبل. بركة: صدره. العصم: الأوعال، وهي تيوس الجبل. المعصمة: بياض في أظفلة أيديها.

الشاعر، خاصة عندما يبرز لنا الصور الرقيقة لموصوفاته «وقد يكون كثير مما وصفه من ظواهر الطبيعة غير مقصود لذاته كتصويره للبقر الوحشي، فقد اتخذ وسيلة لبيان سرعة الحصان، والحصار الوحشي الذي بين به مدى قوة الناقة وسرعتها». وحديثه عن الصقر قد جاء لإظهار مدى القسوة في الانقضاض على الفريسة لديه ولدى حصان الصيد. وهذا التصوير - الرمز - يدل على فطنة وذكاء الشاعر ودقة الملاحظة وسرعة الخاطر لديه.

لكن تأثره في مظاهر الطبيعة لم يكن واحداً فيها كلها. فقد وصل بتصويره الحصان إلى مرتبة الغلو، إذ فاق فيه تصويره بقية الموصوفات من بقر وحشي وعقاب وصقر. وقد أبدع في تصويره الدقيق للبرق والمطر والغيث. فكانت جزئيات الوصف تجسيدا يكاد يكون حقيقياً وناطقاً، فيه الرقة، وحسن التعبير وقوة الملاحظة وروعة الانفعال.

الفخر عند امرئ القيس :

في ديوانه شعر قليل في الفخر، لا يمثل حالة عامة كما هي العادة عند بقية أو كثير من الشعراء، بل هو فخر شخصي إذا جاز التعبير. يتغنى فيه بنفسه تحت وطأة ظروف غير عادية. منها الإثارة والغضب، أو محنة، أو تهديد، أو ندم وتحسر.

فبعد أن حدثت العداوة بين كندة وأسد، امتطى راحلته، وسار

معجباً بنفسه فتغنى قائلاً:

عليها فتى لم تحمِلِ الأرض مثله
أَبْرَ بِمِيشَاقٍ وَأَوْفَى وَأَضْبَرَا^(١)
هو المنزِلُ الأَلفُ من جَوْنَ نَاعِطٍ
بني أَسَدٍ حَزْناً من الأرضِ أوعرا^(٢)

ففي هذين البيتين يدعي الفتوة والقوة لنفسه فقط. وهو القادر
على الوفاء بالمواثيق، والصبر والشجاعة.
وفي لحظة من لحظات الوجد وانفعالات الحزن والأسى،
والحسرة والهم يقول عن نفسه:

قد أقطع الأرض وهي قَفْرٌ
وصاحبي بازلٌ شِمْلَالُ^(٣)
وغائِطٌ قد قطعتُ وَخْدِي
للقلب من خوفه إِجْلَالُ^(٤)
وغارة قد تَلَبَّثْتُ بها
كَأَنَّ أَسْرَابَهَا الرُّعَالُ^(٥)

(١) عليها: أي على الناقة.

(٢) ناعط: حصن بأرض همدان. جَوْ: أرض باليمامة.

(٣) صاحبي: ناقته. شِمْلَال: سريعة.

(٤) الغائِط: الأرض الواسعة. إِجْلَال: رهبة وروع.

(٥) تلبثت بها: تحزمت وتشددت لها. أسرابها: قطعها. الرُعَال: الجماعة من الخيل.

كَأَنَّهُمْ حَرَّشَفٌ مَبْثُوثٌ
 بِالْجَوِّ إِذْ تَسْرِقُ النَّعَالُ^(١)
 صَبَحَتْهَا الْحَيُّ فِي غَدْوَةٍ
 فَكَانَ أَشْقَاهُمْ الرَّجَالُ^(٢)

فهو في هذه الأبيات يفخر بنفسه بأنه بطل صنيديد، قوي فعّال. يجب الفيا في والقفار وحيداً على ظهر ناقته القوية. وينزل في مواطن الغيث ويقود الغارات والمعارك الشعواء، فيقتل الرجال، ويسبي النساء والأطفال.

كلُّ فخره كان يدور حول نفسه. وكما قلنا إنه فخر شخصي، ليس فيه أي ظاهرة قبلية أو فخر قبلي. فلم يفتخر بقبيلته وأحسابهم وأنسابهم وأمجادهم وبطولاتهم؛ لأن ذلك سمة ظاهرة في الشعر الجاهلي. ولم يرد في فخره أيضاً تلك الصفات التي تغنى بها الشعراء في فخرهم مثل الكرم والانفاق وإكرام الضيف وحسن معاملة الجار، والعفو عند المقدرة. إنه اهتم وركز على النواحي الشخصية في هذا المجال؛ لأن الصلة بينه وبين الآخرين كانت فاترة ومنقطعة خاصة إذا علمنا أنه طرد من قبيلته. كذلك لعب الميسر والتباهي بالسفه لم يرد في فخره. والخمر كذلك لم يهتم بها في شعره على غرار ما جاء عند الشعراء الجاهليين.

(١) الحرشف: الجراد. المبثوث: المتفرق.

(٢) أشقاهم الرجال: لأنهم يقتلون، أما النساء والأطفال فيسبون.

إن فخره كان متصلاً بميوله الذاتية كركوب الخيل لمغامرات
المجون واللهو. لكن عندما تغيرت أحواله بدأ يشعر بالمسؤولية.
وشعر بما يشعر به الرجال الطامحون إلى المجد. فافتخر بالقوة
والشجاعة، كما رأينا في بعض النماذج.

المدح والذم في شعر امرئ القيس :

بعد حياة اللهو والمجون التي عاشها في فترة حياته الأولى .
يدور الزمن وتحدث أحداث لأهله ولقبيلته . فتتحرك عنده مشاعر
الحب والصلة التي تربطه بالناس . ويدرك أنه لا يستطيع البقاء في
حالة المجون، وعليه واجبات تجاه الآخرين .

ولا بد من صلات تربطه بالآخرين، فهو واحد منهم، وهناك
مصالح مشتركة بينه وبينهم . ومع هذا الاحتكاك وجد نفسه في بيئة
جديدة، وفي شعور جديد . تمثل في شعره فخراً، وتذكراً
للأمجاد . فسلك هذا الطريق، وكافح من أجل تحقيق أهدافه
الخاصة والعامة . وعبر عن ذلك بقوله (*) :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفاني، ولم أطلب، قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل
وقد يُذكر المجد المؤثّل أمثالي^(١)

(*) الديوان ص ١٢٩ .

(١) المؤثّل : الكثير، أو هو المشر الذي له أصل .

فهمه الوحيد أن يعيش في أقل مستوى، أو عيشة فيها الكفاف،
وعندئذ يكفيه قليل من المال. وبالمقابل فإنه مشدود إلى الرفة
والمعالي طلباً للأمجاد.

ونراه في موقف آخر يدعي أنه نال من بني أسد، فقال^(١):

قد قُرْتُ العَيْنان من مالك

ومن بني عمرو ومن كاهل^(٢)

ومن بني غنم بن دودان إذ

نقذف أعلاهم على السافل^(٣)

حتى تركناهم لدى معرك

أرجلهم كالخشب الشائل^(٣)

إنه يذم قبائل بني أسد ويصفهم بأنهم أذلاء، وأنه مصمم على
إهلاكهم وإبادتهم. ثم يذكر أنه قد نال منهم بالفعل حتى قرت
عيناه واستراح حينما أعمل بهم السيف وقتلهم، وتركهم متفخي
الأجسام والأرجل التي أصبحت كالخشب المرتفع فوق بعضه.

وتروي الأخبار أن امرأ القيس استجار هانيء بن مسعود بن
عامر، فلم يجره وقال: أنا في دين الملك، فأتى سعد بن الضباب

(١) الديوان - ص ١٣٤ .

(٢) مالك وعمرو وكاهل وغنم: أحياء من بني أسد. نقذف أعلاهم على
السافل: نكثر فيهم القتل.

(٣) معرك: ميدان القتال. الخشب الشائل: الذي ألقي بعضه على بعض فارتفع.

الإيادي فأجاره . فقال في ذم هانيء ومدح سعد^(٥) :

لعمرك ما سعدٌ بخُلَّةٍ آثمٍ
ولا نأناءٌ بيوم الحفاظ ولا حَصِرٌ^(١)
يفاكهننا سعد ويغدو لجمعنا
بمثنى الزقاق المترعات وبالجُزُر^(٢)
لعمري لَسعدٌ حيث حُلْتُ دياره
أحبُّ إلينا منك فافرَسٍ حِمِرٌ^(٣)
وتعرف فيه من أبيه شمائلُ
ومن خاله ومن يزيد ومن حُجِرٌ^(٤)
سماحة ذا وبرٌ ذا ووفاء ذا
ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر^(٥)

يقول عن هانيء ذاماً إياه بقلة الخير، وليس فيه مظهر من
النصحة والمروءة، ويمدح سعداً بالوفاء وحسن الصحبة، وسعة

(*) الديوان - ص ٧٤ .

(١) الخلَّة : الصداقة والمودة . نأناء : ضعيف مقصر . الحصر : الضيق الصدر .

(٢) يفاكهننا : يمازحنا ويبتلعنا . بمثنى الزقاق : يجيء برفاق الخمر مرة بعد مرة
المترعات : المملوءات . الجزر : وهي الناقة التي تذبح .

(٣) فافرَس : فم فرس . حمر : نتن فوه .

(٤) شمائل : خلائق وطبائع .

(٥) إذا صحا وإذا سكر : يعني يجمع صفات السماحة والبر والوفاء والجود في
حالتي صحوه وسكره .

الصدر، وكرم العشرة، ورخاء العيش وطيب الأصل، والحقيقة أن ما ورد عنده في المدح والذم أبيات معدودات وليس فيها ما يصل إلى أن يكون قصيدة مكتملة بموضوع من هذه الموضوعات.

الشكوى والتحسر في شعر امرئ القيس :

الشكوى والتحسر موضوعان من الموضوعات الإنسانية المتصلة بالذات البشرية. والإنسان بطبعه مجبول ولو بشكل فطري على ما نسميه العاطفة، حيث الأحاسيس تثور وتخبو نتيجة موقف ما. فنراها عند الشاعر قد اهتزت وثارت بعد التجربة القاسية التي تعرض لها إثر مقتل أبيه على يد بني أسد. وقد اعتبرنا أن تلك الحادثة بمثابة صدمة أعادت الوعي الإنساني الشامل للشاعر بعد فقدده لفترة من الزمن، عنيت بها فترة الشباب حيث اللهو والمجون.

وبعد تلك الصدمة ظهرت له حقائق الحياة، حقائق لم يدركها في السابق، وبدأ ظهوره على المسرح بشكل يوحى بالثقة خاصة عندما تحمل المشقة والصعاب من أجل الأخذ بالشأ من قتلة والده. تلك الحادثة جعلته يتصل بالناس أفراداً وجماعات، ويختبرها حتى أصبحت لديه قناعات جديدة عن الحياة تمثلت تلك الحقائق في كثير من شعره. وفي هذه الفترة يوازن الشاعر بين حقبتين من الزمن: الحقبة الأولى حيث اللهو والمجون، والفترة

الثانية حيث العمل والجهد، خاصة بعدما شعر بوطأة الزمن وطبيعته المختلفة(*) .

ألا أنما الدهرُ ليالٍ وأعصُرُ
وليس على شيءٍ قويمٍ بمستمر^(١)
ويتذكر في لحظة من لحظات الوجد ما حلَّ به وبقومه من
كوارث وفواجع إذ كان قد بكى جماعة من قومه قتلوا في ديار بني
مرينا. فيقول(*) :

ألا يا عين بَكِّي لي شنيناً
وبَكِّي لي الملوكة المذهبين^(٢)
ملوكاً من بني حجر بن عمرو
يساقون العشيّة يقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا
ولكن في ديار بني مرينا^(٣)

وبعد مشواره الطويل بين الأحياء والقبائل، باحثاً، وسائلاً،
ومستجداً تنكشف له حقائق الناس والحياة، ويحس بوطأة ونقل
الزمن، وأصبح لا يلقى ما يسره «وكلما صاحب إنساناً ووثق به،

(● ●) الديوان - ص ٧٣ - ١٦٩ .

(١) قويم : مستقيم . مستمر : دائم مطرد .

(٢) شنيناً : الصب .

(٣) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة .

ورجا منه حسن الصحبة والاخلاص له ، وجد منه عند الاختبار ما لا يرضاه» فيستبدله بآخر، ولكنه لا يجد اللاحق خيراً من السابق، وهنا تبرز له حقائق الحياة بكل صورها. فيقول:

أرانا مُوضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ
وَنُشَحَّرَ بِالطَّعَامِ وَبِالشُّرَابِ^(١)
عَصَافِيرُ وَذَبَانُ وَدَوْدُ
وَأَجْرًا مِنْ مُجْلَحَةِ الذُّنَابِ^(٢)
وَكُلَّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ صَارَتْ
إِلَيْهِ هُمَّتِي وَبِهِ اِكْتِسَابِي^(٣)
فَبَعْضَ اللُّومِ عَاذَلْتِي فَلِإِنِّي
سَتَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي^(٤)
إِلَى عَرَقِ الثَّرَى وَشَجَّتْ عُرُوقِي
وَهَذَا الْمَوْتُ يَلْبِسُنِي شَبَابِي^(٥)

(١) موضعين : مسرعين . لأمر غيب : شيء غاب عنا أي مجهول . نشحر : نخدع .

(٢) مجلحة : مصممة على الشيء .

(٣) همتي : عزيمتي . اكتسابي : سعي وعلمي .

(٤) بعض اللوم : خفني اللوم وأقلى منه . العاذلة : من توجه اللوم ، ولعله يقصد خطوط الزمان .

(٥) وشجت عروقي : اشتبكت وتعلقت . إلى عرق الثرى وشجت عروقي : يقصد أنه من التراب وإلى التراب سيعود .

ونفسي سوف يسلبها وجرمي
 فَيُلْجِقُنِي وَشَيْكاً بِالسَّرَابِ^(١)
 أَلَمْ أَنْضِي الْمَطْيُ بِكُلِّ خَرْقٍ
 أَمَقُّ الطُّولَ لِمَاعِ السَّرَابِ^(٢)
 وَأَرْكَبُ فِي اللَّهَامِ الْمَجْرَ حَتَّى
 أَنْالَ مَاكَلَ الْقُحْمِ الرَّغَابِ^(٣)
 وَقَدْ طَوَفْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى
 رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(٤)
 أَبْعَدَ الْحَارِثِ الْمَلِكِ ابْنَ عَمْرٍو
 وَبَعْدَ الْخَيْرِ حُجْرٍ ذِي الْقَبَابِ^(٥)
 أَرْجِي مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ لِيناً
 وَلَمْ تَغْفُلْ عَنِ الصُّمِّ الصُّلَابِ^(٦)
 وَأَعْلَمُ أَنَّنِي عَمَّا قَلِيلٍ
 سَأَنْشُبُ فِي شَبَا ظَفِيرٍ وَنَابِ^(٧)

-
- (١) الجرم: البدن، الجسم. وشيكاً: سريعاً.
 (٢) أنضي: أهزل. المطي: ما يركب من الحيوانات. خرق: فلاة.
 (٣) اللهام: الجيش الكثير الذي يخفي كل شيء ويلتهمه، المجر: الكثير الضخم،
 القحمة: جمع قحمة وهي الضخمة.
 (٤) طوفت: أكثرت الطواف والتنقل في نواحي الأرض. الإياب: الرجوع.
 (٥) الحارث بن عمرو: جد. حجرين الحارث: أبوه. القباب: الأبنية الضخمة.
 (٦) صرروف الدهر: نكبات الدهر. أرجي: أتوقع. الصلاب: الصلبة.
 (٧) شبا: حد. أنشب: يعلق ويثبت. يقصد بالأظفار والناب المنبة.

كما لاقى أبي حُجْرٌ وَجْدِي
ولا أنسى قتيلاً بالكلاب^(١)

إنه يحاول أن يتمثل الفلسفة، ولكنه لا يجيدها كما جاءت عند
- زهير - وطرفة. والمهم أنه يطرق باب الوجود ويصل إلى قناعة
عامة أن الناس وكل المخلوقات يسرون إلى نهاية حتمية هي
الموت. وما الحياة إلا زينة لا تلبث أن تذوي تحت تأثير ضربات
الزمن. بعد هذا يدعي أنه عمل كل ما بوسعه من جهد لاكتساب
المجد. ويعلم أن مصيره إلى التراب، فهو في الأصل منه، وفي
النهاية إليه. وسيوفيه أجله عمّا قليل، فيسلبه القوة والعزة،
ويلحقه بأصله. وهنا نرى البأس يتسرب إلى نفسية الشاعر،
ويقطع الأمل في تحقيق أمانيه، ويقفل راجعاً من محاولاته، راضياً
من الغنيمة بالإياب إلى أهله وعشيرته من دون فائدة ولا نجاح.
ويصمم على انتظار نهايته الحتمية، ونهاية كل مخلوق. تلك
النهاية التي أدركها أبوه وجده وأعمامه من قبله.

إنها الحياة هموم تتصل بهموم، وعلى الإنسان العاقل أن
يستوعب مواقف الزمن، وأحداثه. ولكن الحزن البشري لا يمكن
أن ينفي من النفوس التواقة إلى المعالي والرفعة. وهذه هي حال
الشاعر الذي يبحث عن صديق يسلي عنه بعض همومه وأحزانه
فلا يجده. ويجول بخاطره في دروب الزمن باحثاً عن الحقيقة بين

(١) قتل الكلاب: عمه شرحبيل.

المتناقضات فيرتمي مرهقاً متعباً من كثرة التفكير إذ أنه لا يجد جواباً شافياً لكل تناقضات الحياة، وهي بحد ذاتها تناقضات النفس البشرية. ويقول في هذا شاكياً متحسراً(*):

مَنْ هُنَا لِي مِنْ صَدِيقٍ فَلْيُعِذْ
لِيُعِذْنِي إِنْ نِي الْيَوْمَ كَمِذ^(١)
مِنْ خُطُوبٍ تَرَكْتَنِي قَلْقاً
قَلَقَ الْمَحُورَ بِالْكُتِّ الْمَسْدُ^(٢)
بِئْتَنِي بِهَمُومٍ شُرْعُ
خَلَسْتُ نَوْمِي وَأَخَذْتَنِي الشُّهْدُ^(٣)
لَيْتَ شَعْرِي وَلَيْتَ نَبْوَةُ
أَيْنَ صَارَ الرُّوحُ إِذْ بَانَ الْجَسْدُ^(٤)
بَيْنَمَا الْمَرْءُ شَهَابٌ ثَاقِبُ
ضَرَبَ الدَّهْرُ سَنَاهُ فُخِمْدُ^(٥)
وَلَبِينَا الْمَرْءُ يَهْوِي قُدُمَا
أَفْسَدَ الدَّهْرُ غَنَاهُ فَفَسَدُ^(٦)

(*) الديوان ص ١٥٧ .

(١) فليعد: فليات. ليعدني: ليزرني ويواسيني. كمد: حزن.

(٢) الخطوب: الأحداث. المسد: الحبل. الكت: الصوف.

(٣) شُرْع: واردات. خلست: استلبت. أخذتني: منحتني.

(٤) نبوة: ارتفاع. بان: انقطع. الروح: يذكر ويؤنث.

(٥) الشهاب: الضوء. ثاقب: ملتهب. خمد: انطفأ.

(٦) يهوي: يجري في عيشه. قدماً: متقدماً مسرعاً.

ويجهد يتنضى عيشه
 عاضه الدهر ثراء فمجد^(١)
 لا يضُر العجز ذا الجد ولا
 ينفع المحروم إضاع وكذ^(٢)
 ناعم في أهله ذو غبطة
 ومناصر عيش سوء في كبد^(٣)
 ركب اللج أنى اللج إلى
 غمرات البحر ذي الموت الأشد^(٤)
 حين أرسى كل من يعرفه
 وارتمى الأذى منه بالزبد^(٥)
 عاجز الحيلة مسترخي القوى
 جاءه الدهر بمالٍ وولد^(٦)
 ولبيب أيد ذو حيلة
 مُحَكَّم المِرَّة مأمون العُقَد^(٧)

(١) بجهد: بمشقة. يتنضى عيشه: يستله ويحتال في تخلصه لنفسه. مجد: ترف وارتفع.

(٢) العجز: الضعف وقلة الحيلة. الجد: الحظ والبخت. كد: تعب.

(٣) ناعم في أهله: هاديء مطمئن، يعيش في نعمة بينهم. كبد: شدة.

(٤) اللج: أمواج البحر. غمرات: الشدائد.

(٥) أرسى: ثبت. ارتعى الأذى: رمى بعضه بعضاً. والأذى: الموج.

(٦) القوى: جمع قوة، وهو الطاقة من الجبل أو الخيط.

(٧) لبيب: عاقل. واللب: خالص العقل. أيد: شديد. المِرَّة: شدة الفتل.

حَصَّه الدهرُ وغطى حزمه

وانتضاه من عبيد وسبد^(١)

إنه يبحث عن صديق يواسيه في أزمته وأحداثه المأساوية فلا يجد ذلك الصديق. فلزمته الهموم والأحزان. ويسرح بخاطره في هذا الزمن وفي أحوال الناس، فيجد نفسه في حيرة بين المتناقضات وغرائب لا يستطيع فهمها، ولا يجد تعليلاً لها. ويتمنى أن يعرف شيئاً عن حقيقتها: أين تصير الروح حين تفارق الجسد؟ وقد يكون الإنسان في ريعان الشباب والقوة والفتوة، وفجأة ينتهي ويرحل بعيداً إلى عالم آخر. ويجد المتناقضات تلف الحياة قوة وأمل وضعف وحزن. فقر وثراء. قوم ناعمون هادئون، وآخرون أشقياء يائسون وركب الحياة يسير بالناس في بحور عميقة الغور متلاطمة الأمواج، بعض ترسو سفنه بطمأنينة، وبعض يذهب في اللجج، وغبي يعيش في ترف العيش، وذكي يبقى في البؤس والفاقة والحرمان.

هذه التأملات تدل على نفسية متعبة، مضطربة بائسة، يائسة، تنكرت لها الحياة وتغيرت بها الأحوال، حتى ضلت في سعيها، وخابت آمالها. كل ما قاله في هذا المجال يدلنا على حالة نفسية متعبة، بحثت عن المجد، ورسّت في نهاية الأمر على الرمال

(١) حصه: أسقط عنه ماله. انتضاه: سلّه وأخرجه. سبد: شعر، ويقصد هنا جميع المال.

المتحركة، فالتهمت الرمال، وانهارت تحت وطأة الهموم
الكثيرة.

اسلوبه وخصائصه العامة :

قال ابن رشيق : «وقد قال العلماء بالشعر: إن امرأ القيس لم
يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوه، ولكنه سبق إلى أشياء،
فاستحسنها الشعراء، واتبعوه فيها لأنه قيل أول من لطف المعاني،
واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالطباء والمها والبيض،
وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وفرق بين النسيب وما سواه من
القصيد، وقرب مأخذ الكلام، فقيد الأوابد، وأجاد الاستعارة
والتشبيه» وهذا مأخوذ من ابن سلام إذ قال : «فاحتج لامريء
القيس من يقدمه، وليس أنه قال ما لم يقولوا، ولكن سبق العرب
إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب، واتبعه فيها الشعراء، منها
استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب
المأخذ، وشبه النساء بالطباء والبيض، والخيل بالعقبان والعصي .
وقيد الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين
المعنى، وكان أحسن طبقته تشبيهاً» .

وهناك آراء كثيرة للنقاد القدامى، تعتبر امرأ القيس أكثر
المولدين والمبتكرين للمعاني . إذ اعتبره ابن رشيق «من وصافي
الخيال» عوضاً عن الغزل والنسيب وغير ذلك من الموضوعات التي
أتينا على ذكرها في مجال كتابتنا عن امرئ القيس .

وأول ما يستوقفنا في شعر امرئ القيس :

١ - التشبيه : وهو كثير في شعره . مثل :

أيقتلني والمشرقي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال
فشبه نصال النبل بأنياب الأغوال . وهذا تشبيه شيء بشيء .
كأن قلوب الطير رطباً وباساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي
وهنا في هذا البيت تشبيه شيئين بشيئين .

وكذلك يبرز التشبيه في موضع آخر :

له أبطالا ظبي ، وساقا نعامة
وإرخاء سرحان ، وتقريب تنفل
فشبه أربعة بأربعة بدون أداة التشبيه .

٢ - الاستعارة : ويرز في قوله :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
عليّ كأموج الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطي بصلبه
وأردف أعجازاً وناء بكلكل
فاستعار الليل سدولاً يرخيها، وصلباً يتمطي به، وأعجازاً

يردفها، وكلكتلاً ينوء به. وقال الروماني: «الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة بيان لا تنوب منابة الحقيقة كقول امرئ القيس: «قيد الأوابد».

ومن الاستعارة - المماثلة - كما يقول ابن رشيق: «ومن ضروب الاستعارة التمثيل، وهو المماثلة عند بعضهم، وذلك بأن تمثل شيئاً بشيء فيه استعارة نحو قول امرئ القيس. وهو أول من ابتكره، ولم يأت أملح منه:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربني
بسهميك في أعشار قلب مقتل

فمثل عينيها بسهمي الميسر، يعني المعلّى وله سبعة أنصباء، والرقيب وله ثلاثة أنصباء، فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها. ومثل قلبه بأعشار الجزور. فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل».

٣ - الكناية: كقوله:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهوبها غير معجل
فقد كنى بالبيضة عن المرأة.

٤ - الطباق: كقوله:

مكر، مفر، مقبل مدبر معاً
كجلمود صخر حطّه السيل من عل

٥ - الجناس : مثل :

بلاد عريضة، وأرض أريضة
مدافع غيث في فضاء عريض
ويظهر الجناس في «عريضة وأريضة».

٦ - المبالغة : وهي عند أبي هلال العسكري : «أن تبلغ
بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته. ولا تقتصر في العبارة منه
على أدنى منازل. وأقرب مراتبه». ومنها :

من القاصرات الطرف لو دبَّ مُحول
من الدرِّ فوق الأتب منها لأثرا

إن ديوان امرئ القيس مليء بالمحسنات الجمالية والبلاغية.
وهذه النماذج للدلالة فقط على تلك الموضوعات الجمالية التي
جاءت في ثنايا القصائد المهمة.

وبالرغم من تعصب بعض النقاد لامرئ القيس، فإن بعضهم
الآخر وقع على أخطاء وعيوب عنده.

ومن أهم هذه العيوب :

الخلاعة والمجون : قال ابن سلام : «وكان من الشعراء من
يتأله في شعره، ولا يستبهر بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاء،
ومنهم من كان ينعى على نفسه، ويتعهر، ومنهم امرؤ القيس
والأعشى».

وقال ابن قتيبة: «وكان هذا العيب وصمة في جبين الشعر العربي عامة، إذ كان امرؤ القيس في طليعة أربابه».

لكن الواقع الذي انطلق منه النقاد يعاكس فهم التربية التي عاشها الشاعر، والتي أثرت في نفسيته، وفي شعره، إنه عاش مدلاً على هواه بين اللهو واللعب والعبث، فكانت هذه الأقايم سمة من سمات التربية الأولى، فطبعت نفسه وشعره بهذا الثالث.

لكن الشعر يبقى شعراً وإن كان في موضوعات كهذه شرط أن يجيد الشاعر القول والتصوير، والتعبير الصادق في موضوعاته المختلطة. وهذا ما نجده في شعر الأمير الملمهم. وهذا العيب الذي تسلم به القدماء ما هو إلا من جانب واحد، ألا وهو الجانب الأخلاقي. وهذا حكم مسبق على قول ما. وهنا يكمن الخطأ لأن جمال الشعر عنده كان في مستوى رفيع جداً وهذا ما جعل علماء البصرة يتمثلون بشعر امرئ القيس ويهتمون به. ونحن بدورنا نحكم على الكلمة، على القول، وليس على تصرفات الإنسان.

وقد غاب بعض النقاد على امرئ القيس بعض المعنى حينما قال:

أغرك مني أن حبك قاتلي
وأنتك مهما تأمري القلب يفعل

ويتراءى لي أن المحب - كالشاعر - عليه أن يتودد للمحبيب بهذا الكلام وبهذه المعاني .

ونقف عند أقوال النقاد، لنجد أن معظمها أحكام عامة مثل هو: شاعر اليمن، وأشعر شعراء الجاهلية، أشعر الناس، أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة.

والبعض الآخر فضله لجزئية من الجزئيات، واعتبر تلك الجزئيات من الابتكارات والاختراعات والتوليدات . وهناك من وقف ضد هذا الشعر لما يتضمن من خلاعة وعيوب أخلاقية . لكن الحقيقة تبقى بين المؤيد والرافض . إن اهتمام الفثنين من النقاد ما هو إلا دليل راسخ على أهمية شاعرنا الكبير .

إن نماذج امرئ القيس الشعرية مأخوذة من أحوال الإنسان والطبيعة ومظاهر البيئة المختلفة . لذلك نرى صوراً مختلفة من ألوان الحياة في عصره . كما نرى كثيراً من مظاهر الطبيعة الصحراوية . وعلى العموم فإن الصور الكثيرة والمختلفة التي رأينا منها الكثير في شعر امرئ القيس تدل على ذكاء وفطنة وقوة ملاحظة لدى الشاعر . إنه فنان صادق نقل المناظر واللوحات كما رآها في إبداع حتى جاء شعره رائعاً . موشياً بحس رقيق، وشعور مرهف .

أما الجانب النفسي فكان للشاعر نصيب كبير فيه ، خاصة عندما واجهته الحياة بكل قسوتها، حيث يبلغ قمة شكوه وتحسره بعد

فشله في تحقيق آمانياته. في هذا الجانب تتجلى النفس الحائرة التي أحاط بها البؤس والشقاء، وحاصرها الهم واليأس. إنه إحباط الزمن، يرفع من يريد، ويذل من يريد، إنه نفس حائرة بعدما اصطدمت بحقائق مرة لم يكن يعرفها في فترة حياته الأولى. لقد ضاع أمله بضياغ قومه، وهجرة الأعوان من حوله فتضعض شأنه، وبالنهاية استسلم. وكانت في كل لحظة تعاوده لحظات أيامه الأولى، وذكريات الماضي الجميل، لكنها تعود لتختلط بأنين الحاضر وأزماته المؤلمة. فكان شعره يمثل مرحلة القلق النفسي والاضطراب الذي لا حده ولا حدود.

أما التعبير تلك الوسيلة التي اتخذها الشاعر ليرجم ما كان يجيش في صدره من عواطف وانفعالات. وحاول أن تكون تلك الترجمة معبرة عن شعوره ونفسه في صورة جليلة واضحة ورائعة.

والمعروف أن الفنون الجميلة تستعمل وسائل متعددة ومختلفة في التعبير لكن الأدب يستعمل وسيلة واحدة هي الألفاظ والعبارات والمعاني. أضف إلى ذلك الموسيقى والرنين الذي نسميه الجرس الموحى، الذي يحمل الوجدان على أجنحة الكلمات. وحتى يكتب للأدب البقاء والاستمرار يجب أن تتلاقى الموهبة مع الوسائل لتشكل عملاً فنياً متقناً بدقة.

والأدب بحد ذاته يستعمل تعبيرات مختلفة. فللشعر تعبيره، وللنثر كذلك. ولقد عرض امرؤ القيس فنه بشكل صور لونها

عاطفة فنان ارتقى في فضاء الشعر الرحب حتى بلغ أقصى المرامي، "بما استلهمه من الطبيعة والحياة من أمور ورموز وموضوعات، حركت شعوره وأثارت عاطفته، فاكتملت الحالة عنده، وكان شعره ركيزة وقاعدة ومنطلقاً.

وبعد التحليل الذي أتينا عليه، واستعرضنا فيه أفكار امريء القيس وصوره الكثيرة والمتنوعة. يمكننا أن نقول إنه امتلك زمام وسيلة التعبير الأدبي حينما يكون المجال ملائماً لميوله وطبيعته. والحقيقة أن التعبير كان يستعصي عليه إذا حاول أن يسير في غير اتجاهه الطبيعي.

وهذا التعبير عنده يساعدنا على عملية الكشف، كشف نفسية الشاعر وشخصيته المتصلة بموضوعات مختلفة كموضوع المرأة والصيد والطرْد والشكوى والتحسر. وهذه الموضوعات كانت تلائم طبيعة الشاعر فجاءت رائعة جميلة، بعكس المدح والذم والتهديد والوعيد والحرب والفخر، التي جاءت بشكل عرضي عنده مما يدل أن هذه الموضوعات بعيدة عن نفسيته وحياته.

ومهما يكن من أمر فإن التعبير الفني عند امريء القيس يبين أن الشاعر يملك ملكة لغوية، وثروة كبيرة من الألفاظ والعبارات التي يجيد التصرف بها، ويحسن رصفها وصنعها في دقة وإحكام. أضف إلى ذلك دقة الحس عنده، ورهافة الشعور، وتنظيم

موسيقى بلغ الجمال والأناقة . ونلاحظ حسن اختياره للألفاظ والعبارات حين استعملها في مواضعها الأصلية والصحيحة - إلا في أماكن نادرة - .

فألفاظه تدل على سمو هذا الشاعر في فنه، فهي سهلة، سلسلة قوية، تؤدي المعنى، وتفيد المقصود في سهولة ويسر. وهي قريبة إلى الفهم إذ لا يجد السامع أو القارئ عناء كبيراً في معرفة معانيها، لأنها ألفاظ عربية لانزال نستعمل معظمها حتى عصرنا الحاضر بالرغم من البعد الزمني بيننا وبين امرئ القيس، أو العصر الجاهلي الذي هو أحد رواده .

أما من حيث التعبير عن أفكاره في موضوع أو موضوعات فهي تشابه في طريقة العرض . ففي الموضوع الواحد كانت قصائده قصيرة تتراوح بين بيتين ولا تتجاوز تسعة أبيات . وفيها يعرض الشاعر موضوعاً واحداً قد يكون مدحاً، أو هجاء، أو تهديداً، أو رثاء، أو وصفاً لمنظر، أو تعبيراً واستجابة لحالة نفسية طارئة .

أما القصائد الطوال فهي عرض لأفكار متعددة وموضوعات مختلفة . والملاحظ أن الشاعر كان يسير فيها وفق منهج واحد، وخطة واحدة، يكشف فيها عن نفسيته، وأحواله، وطبيعته المتأثرة بكل ما يحيط بها . فكان يبدأ بماديات وقع عليها نظره، وينطلق بعدها ليعبر عما تختلج نفسه . أما الماديات فهي الوقوف على الأطلال، والمغامرات والوصف، والأفكار النفسية كانت في

موضوع التحسر والشكوى. وكانت الأطلال بحد ذاتها تثير نفسية الشاعر. فتفيض شاعريته وينتج عنها شعر جميل متعدد الموضوعات.

إنه شاعر منسجم مع نفسه، استعمل التعبير بما يتوافق مع نفسه وطبيعته وحسه. فجاءت الألفاظ والتعابير محملة بتنويع من الموسيقى والتنظيم والإيقاع. ويدل هذا على سعة أفق الشاعر، ورهافة حسه، ورقة شعوره وقوة شاعريته في الصياغة والخلق والعرض.

المعلقة

قفا بُبِكَ من ذكرى حبيب ومنزل
بِسْقَطِ اللَّوَى بين الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ^(١)
فَتُوضِحْ فالمقراة لم يَعْفُ رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمألِ^(٢)
تري بعرا الأرام في عرصاتها
وقيعانها كأنه حبٌ فلفلِ^(٣)
كأنني غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرة الحَيِّ ناقفُ حنظلِ^(٤)

(١) السقط: الرمل المنقطع. اللوى: الرمل الذي يتلوى ويعوج. الدخول فحومل: هما موضعان.

(٢) فتوضح فالمقراة: موضعان. لم يعف رسمها: لم يمنع أثرها.

(٣) العرصات: الساحات.

(٤) غداة البين: صبيحة الفراق. تحملوا: ارتحلوا. السمرة: نوع من الشجر. ناقف حنظل: شديد المرونة.

وقوفاً بها صحي عليّ مطيئهم
 يقولون لا تهلك أسي، وتجمل^(١)
 وإن شفائي عبرة مُهراقّة
 فهل عند رسم دارس من معول^(٢)
 كدأبك من أم الحويرث قبلها
 وجارتها أم الرباب بمأسل^(٣)
 إذا قامت تضيوع المسك منهما
 نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل^(٤)
 ففاضت دموع العين مني صباية
 على النحر حتى بلّ دمي محملي^(٥)
 ألا ربّ يوم لك منهنّ صالح
 ولا سيّما يوم بدارة جلجل^(٦)
 ويوم عقرت للعذارى مطيئي
 فيا عجبا من رخلها المتحمل^(٧)

(١) المطي: الإبل. تجمل: تحمل، وتجلد.

(٢) العبدة: اللعنة.

(٣) كدأبك: كعادتك، أم الحويرث وأم الرباب: من صاحباته. مأسل: اسم ماء.

(٤) تضيوع: فاح وانتشر.

(٥) الصباية: الشوق الرقيق. النحر: الصدر والعنق. المحمل: حمالة السيف.

(٦) دارة جلجل: موضع بالحي له فيه قصة. ويروي أنه غدير ماء لقي فيه امرؤ القيس محبوبته عزيزة.

(٧) عقرت: نحر. العذارى: البكر.

ويا عجباً من حلّها بعد رحيلها
 ويا عجباً للجازر المتبذّل^(١)
 فظّل العذاري يرتمين بلحمها
 وشحم كهذاب الدّمقس المقتل^(٢)
 تذارّ علينا بالسديف صحافنا
 ويؤتّى إلينا بالعبيط المثلّ^(٣)
 ويوم دخلت الخدر خدر غنيرة
 فقالت لك الويلات إنك مرجلي^(٤)
 تقول وقد مال الغيظ بنا معاً
 غقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل^(٥)
 فقلت لها سيري وأرخي زمامه
 ولا تبعديني عن جناك المعلّل^(٦)
 دعي البكر لا ترثي له من رداقنا
 وهاتي أذيقينا جناة القرنفل^(٧)

(١) إنه يعجب من حالته معهن .

(٢) الهداب : اسم لما استرسل من ثوب أو شعر . الدّمقس : الابريسم الأبيض .

(٣) السديف : لحم السنام . العبيط المثلّ : اللحم الطري .

(٤) الخدر : الهودج . مرجلي : أمشي على رجلي ، غير راجبة .

(٥) الغيظ : الهودج ذاته هنا . غقرت بعيري : حركته .

(٦) الجنى : الثمر . ويعني هنا اقتطاف حمرة خديها بالقبل ، المعلّل : الذي علل بالطيب .

(٧) أذيقينا جناة القرنفل : علينا برائحة فمك التي تشبه زهر الطيب . ويشك في نسبة هذا البيت إلى معلقة امرئ القيس .

بِشَفَرٍ كَمَثَلِ الْأَقْحَوَانِ مُنِيرٍ
 نَقِيٍّ الثَّيَابِ أَشْنَبَ غَيْرِ أَثْعَلٍ ^(١)
 فَمَثَلُكَ جَلِيٌّ قَدْ طَرَقَتْ وَمَرْضَعٌ
 فَأَلْهَبْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مَحْوَلٍ ^(٢)
 إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ
 بِشَقٍّ وَتَحْتِي شَقُّهَا لَمْ يُحْوَلٍ ^(٣)
 وَيَوْمًا عَلَى ظَهْرِ الْكُثِيبِ تَعَذَّرْتُ
 عَلَيَّ وَآلَتْ خَلْفَةٌ لَمْ تَحْلَلٍ ^(٤)
 أَفَاطَمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدْلِيلِ
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَزْمَعْتُ صَرْمِي فَأَجْمَلِي ^(٥)
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ
 فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِي ^(٦)
 أَغْرَكَ مِنِّي أَنَّ حُبَّكَ قَاتِلِي
 وَأَنْتَكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِي ^(٧)

(١) أَشْنَبَ : صَافِي الرِّيقِ، رَقِيقَهُ . غَيْرِ أَثْعَلٍ : لَمْ تَتْرَاكِبِ أَسْنَانَهُ .

(٢) ذُو تَمَائِمٍ مَحْوَلٍ : طِفْلٌ رَضِيعٌ عَمَرُهُ سَنَةٌ أَوْ حَوْلَ .

(٣) بِشَقٍّ : بِقِسْمٍ مِنْ جِسْدِهَا .

(٤) الْكُثِيبُ : الرَّمْلُ الْمَرْتَفِعُ . تَعَذَّرْتُ : امْتَنَعْتُ وَاعْتَذَرْتُ . وَآلَتْ : أَقْسَمَتْ . لَمْ تَحْلَلٍ : جَعَلْتُ يَمِينَهَا قَاطِعًا .

(٥) التَّدْلِيلُ : الدَّلَالُ . أَزْمَعْتُ : عَزَمْتُ وَقَرَرْتُ . صَرْمِي : هَجْرِي .

(٦) سَاءَتْكَ : أَذْنَتْكَ . خَلِيقَةٌ : طَبِيعَةٌ . ثِيَابِي : كُنَايَةٌ عَنْ قَلْبِهِ . تَنْسَلٍ : تَخْرُجُ .

(٧) أَغْرَكَ : أَحْمَلْتُكَ عَلَى الْإِغْتِرَارِ بِبِي أَنْ حُبُّكَ قَدْ بَرَحَ بِي حَتَّى كَادَ يَقْتُلَنِي .

وَأَنْكَ قَسَمْتَ الْفُؤَادَ فَنَصَفَهُ
 قَتِيلٌ وَنَصَفٌ فِي حَدِيدٍ مَكْبَلٌ ^(١)
 وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَضْرِبَنِي
 بِسَهْمِكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مَقْتَلٌ ^(٢)
 وَبَيْضَةُ خَدْرٍ لَا يَرَامُ خَبْلُهَا
 تَمَتَّعَتْ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مَعْجَلٍ ^(٣)
 تَجَاوَزَتْ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعْشِراً
 عَلَيَّ جِرَاصاً لَوْ يَسْرُونَ مَقْتَلِي ^(٤)
 إِذَا مَا الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ
 تَعَرَّضَ أَثْنَاءُ الْوُشَاحِ الْمَفْضَلِ ^(٥)
 فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لَنُومِ ثِيَابِهَا
 لَدَى السُّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضَّلِ ^(٦)
 فَقَالَتْ: يَمِينُ اللَّهِ مَالِكَ حَيْلَةٍ
 وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي ^(٧)

-
- (١) ونصف في حديد: هو النصف الواقع بأشراك حبها.
 (٢) ذرفت: دمعت. سهميك: بعينيك. أغشار قلب: أجزاءه.
 (٣) وبیضة خدر: امرأة مصونة في خدرها. معجل: غير خائف.
 (٤) تجاوزت أحراساً: مررت بحراسها وأهلها الحريصين على قلبي لو استطاعوا ذلك. الحراس: جمع حريص.
 (٥) الثريا: الجوزاء. الأثناء: النواحي. يقول: تجاوزن إليها في وقت إيذاء الثريا عرضها بالسماء كإيذاء الوشاح الذي فصل بين جواهره وخرزه بالذهب.
 (٦) نضت: خلعت. المتفضل: الذي يرتدي ثوباً واحداً.
 (٧) اليمين: القسم. الغواية: الضلال. الانجلاء: الانكشاف.

- خرجتُ بها أمشي تجرُّ ورائنا
على أثرينا ذيل مِرْطٍ مرجل^(١)
فلما أجزنا ساحة الحيِّ وانتحي
بنا بطن خَبِيبٍ ذي جِفافٍ عقنقل^(٢)
هَصَرْتُ بفودي رأسها فتمايلتُ
عليَّ هُضيم الكشح رَيَّا المخلخل^(٣)
إذا التفتت نحوي تضوع ربحها
نسيم الصِّبا جاءت برَيَّا القرنفل^(٤)
إذا قلتُ هاتي نوليني تمايلتُ
عليَّ هُضيم الكشح رَيَّا المخلخل^(٥)
مهفهفةً بيضاء غبرُ مُفاضة
ترائبها مصقولة كالسَّجَنجل^(٦)

-
- (١) المرط : ثوب يشبه الملاعة . مرجل : المنقش بنقوش تشبه رجال الإبل .
(٢) أجزنا : قطعنا . انتحي : مال واعترض . البطن : مكان مطمئن حوله أماكن مرتفعة . والخبت : أرض مطمئة . الحقف : الرمل المشرف المعوج .
(٣) هصرت : جذبت . الفودان : جانب الرأس . هُضيم الكشح : ضامرة الوسط . المخلخل : يعني الساق وهو مكان الخلخال .
(٤) تضوع : فاح وانتشر . ريا القرنفل : ربيع زهر من أنواع الأفايه .
(٥) نوليني : أعطيني . يشك في نسبة هذا البيت إلى امرئ القيس .
(٦) مهفهفة : خفيفة اللحم ليست برهلة ولا ضخمة البطن . المفاضة : المسترخية البطن . الترائب : موضع القلادة من الصدر . كالسجَنجل : كالمرأة .

تَصُدُّ وتُبْدِي عن أَسِيلٍ وتُنْقِي
 بناظرة من وحش وجرة مطفل^(١)
 وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش
 إذا هي نَصَتْه ولا بمعطل^(٢)
 وفرع يزين المتن أسود فاحم
 أثيث كقنو النخلة المتعكل^(٣)
 غدائره مستشزرات إلى العلا
 تفضل المدارى في مُثْنَى ومرسل^(٤)
 وكشح لطيف كالجديل مُخَصَّر
 وساق كأنبوب السقي المذل^(٥)
 وتضحى فتيت المسك فوق فراشها
 نؤوم الضحى لم تتطق عن تفضل^(٦)

(١) تصد : تعرض . الصد : الصرف والدفع . تبدي : تظهر . أسيل : خد طويل .
 المطفل : التي لها طفل .

(٢) الرثم : الظبي الخالص البياض . الفاحش : ما تجاوز القدر في كل شيء .
 نصته : رفعته . معطل : غير معطل عن الحلي .

(٣) الفرع : الشعر التام . فاحم : شديد السواد . الأثيث : الكثير . المتعكل :
 النخلة التي خرجت عاكليها أي قناتها .

(٤) الغدائر : جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر . مستشزرات : مرتفعات .

(٥) الكشح اللطيف : الخصر النحيل الحسن . مخصر : دقيق الوسط . السقي
 المذل : النخل المسقي المذل بالارواء .

(٦) تضحى : الإضحاء مصادقة الضحى . فتيت المسك : ما تفتت منه .

لم تتطق : لم تشد نطاقاً للعمل . عن تفضل : عن ثوب النوم .

وتعطو برخص غير شثن كأنه
أساريعُ ظبي أو مساويك أسحل^(١)
كبكر المقناة البيضاء بصفرة
غذاها نيمر الماء غير المحلل^(٢)
تضيء الظلام بالعشاء كأنها
منارة مُنسي راهب متبتل^(٣)
إلى مثلها يرنو الحليم صبابه
إذا ما اسبكرت بين درع ومجول^(٤)
تسلت عمايات الرجال عن الصبا
وليس فؤادي عن هواها بمنسل^(٥)
الآ رب خضم فيك ألوى رددته
نصيح على تغذاله غير مؤتل^(٦)

(١) تعطو: تتناول. الرخص: البنان الناعم. الشثن: الغليظ. أسحل: شجر تتخذ من فروعه مساويك كالآراك.

(٢) كبكر: كبيضة النعامة أول ما تبيض. المقناة: التي خالط بياضها صفرة وحمرة.

(٣) المنارة: يقصد بها سراج الراهب.

(٤) يرنو: ينظر. اسبكرت: طالت وامتدت. درع: قميص المرأة.

المجول: ثوب الجارية الصغيرة.

(٥) تسلت: من السلوأي الزول. العمابة: الجهالة. بمنسل: تارك.

(٦) خضم ألوى: شديد الخصومة. العذل: اللوم. مؤتل: مقصر.

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله
 علي بأنواع الهموم ليبتلي^(١)
 فقلت له لما تمطى بصلبه
 وأردف أعجازاً وناء بكلكل^(٢)
 ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
 بصبح وما الإصباح فيك بأمثل^(٣)
 فيا لك من ليلٍ كأن نجومه
 بكل مغارِ القتل شدت يذبيل^(٤)
 كأن الثريا علقت في مصابها
 بأمراسٍ كتان إلى صم جندل^(٥)
 وقربة أقوامٍ جعلت عصامها
 على كاهل مني ذلول مرخل^(٦)
 ووادٍ كجوف العير قفر قطعته
 به الذئب يعوي كالخليع المعيل^(٧)

- (١) سدوله : ستوره . الإرخاء : إرسال السترو غيره . الابتلاء : الاختبار .
 (٢) تمطى بصلبه : تمدد بجسمه أو بصلبه ، وهو ظهره . وأردف أعجازاً : تابع
 أو اخره بأوائله . ناء بكلكل : حط بصدرة .
 (٣) بأمثل : بأفضل ، أي ليس الإصباح فيك بأفضل من الإساء .
 (٤) مغارِ القتل : الحبل المقتول جداً . يذبيل : اسم جبل .
 (٥) الثريا : نجم في السماء . مصابها : مواضعها . صم جندل : حجارة صماء .
 (٦) وقربة أقوام : ورب قرية أقوام . القرية : وعاء من الجلد يحمل فيها الماء .
 عصامها : حبالها . ذلول : معنادة على الحمل .
 (٧) العير : الحمار الوحشي . الخليع المعيل : هو الذي تبرأ منه قومه ونفوه منهم ،
 أي أنه ذو عيال ومقتر .

فَقُلْتُ لَهُ لِمَا عَوَى إِنَّ شَأْنَنَا
 قَلِيلُ الْغِنَى إِنْ كُنْتُ لِمَا تَمُولُ^(١)
 كَلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئاً أَفَاتَهُ
 وَمَنْ يَحْتَرِثُ حَرْثِي وَحَرْثُكَ يَهْزُلُ^(٢)
 وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا
 بِمُنْجَرِدٍ قَبْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلُ^(٣)
 مَكْرٍ مِفْصَرٍ، مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا
 كَجُلُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ^(٤)
 كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ
 كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمَتَنَزَلِ^(٥)
 عَلَى الْعَقَبِ جِيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ
 إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيَّهُ غَلِي مَرَجَلٍ^(٦)

(١) يقول للذئب: إني في حالي هذه وأنت كما أنت كلانا لا يعني عن صاحبه شيئاً.

(٢) أفاته: قوته على نفسه. من بحرث حرثي وحرثك: من يسع سعبي وسعبك يهزل، أي عاش مهزول العيش.

(٣) أغتدي: أخرج مع تبشير النهار. وكناتها: أوكارها. المنجرد: الفرس القصير الشعر. الأوابد: الوحوش. الهيكل: يعني الفرس القوي.

(٤) جلود: الصخر الأصم. من عل: من مكان عال.

(٥) كमित: لون بين الحمرة والسواد. الصفواء: الصخرة الملساء. المتنزل: السيل.

(٦) العقب: الجري المتعاقب. اهتزام: صوت الاندفاع. المرجل: القدر.

مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتِ عَلَى الْوَنَى
 أَثَرْنَ غُبَاراً بِالْكَدِيدِ الْمَرَكَلِ (١)
 يُزَلُّ الْغَلَامُ الْخَفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ
 وَيَلْوِي بِأَثَوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ
 دَرِيرٌ كَخَذَرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرَةٍ
 تَقْلُبُ كَفِّهِ بِخَيْطِ مُوَصَّلِ (٢)
 لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ
 وَإِرْخَاءِ سَرْحَانٍ وَتَقَرِيبُ تَنْفَلِ (٣)
 ضَلِيعٌ إِذَا مَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ
 بِضَافٍ فَوْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ (٤)
 كَأَنَّ سَرَاتَهُ لَدَى الْبَيْتِ قَائِمًا
 مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلَايَةِ حَنْظَلِ (٥)

-
- (١) السابحات: الخيل تجري كأنها تسبح. الونى: الإعياء والتعب. الكديد: الأرض الصلبة. المركل: الذي داسه الخيل وركلته.
 (٢) الدريز: من ذُرٍّ، يقال درت الناقة اللبن، الدريز هنا بمعنى الدار. خذروف: لعبة من لعب الأطفال. الوليد: الصبي.
 (٣) الأيطل: الخاصرة. الإرخاء: ضرب من عدو الذئب. السرحان: الذئب. تنفل: ولد الذئب.
 (٤) ضليع: قوي الأضلاع. استدبرته: نظرت إليه من الخلف. سد فرجه: رأيت ذنبه الطويل قد سد ما بين الفخذين.
 (٥) سراته: أعلى ظهره. مداك عروس: حجر يسحق عليه الطيب للعروس. صلاية: حجر يذق عليه حب الحنظل.

فَعَنَ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ
عَذَارَى ذَوَارٍ فِي مَلَاءٍ مُذْيِلٍ ^(١)
فَأَدْبِرْنَ كَالْجَزْعِ الْمَفْصُلِ بَيْنَهُ
بَجِيدٍ مَعَمٍ فِي الْعَشِيرَةِ مُخَوِلٍ ^(٢)
فَالْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ
جَوَاحِرَهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تُزَيَّلِ ^(٣)
فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ
دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيَغْسِلِ ^(٤)
فَظَلَ طُهَاءَ الْحَيِّ مِنْ بَيْنِ مُنْضَحٍ
صَفِيفِ شِمَوءٍ أَوْ قَدِيرٍ مَعْجَسِلِ ^(٥)
وَرُخْنَا وَرَاحَ الطَّرْفُ يَقْصِرُ دُونَهُ
مَتَى مَا تَرَقَّى الْعَيْنُ فِيهِ تَسْهَلِ ^(٦)

(١) عَنَ: عرض. السرب: قطع البقر الوحشي. النعاج: البقر الوحشي. الملاء: المذيل: الثياب الطويلة الذيل.

(٢) أدبرن: الأدبار نقيض الإقبال. الجزع: الخرز اليماني. الجيد: العنق. المخول: الكريم الأخوال.

(٣) الهاديات: طلائع الوحوش. الجواهر المتحلفات. الصرة: الصيحة. لم تزيل: لم تفرق.

(٤) عادى: والى الجري. دراكًا: سريعاً. لم ينضح: لم يعرق.

(٥) الطهاة: الطباخون. صفيف شواء: شرائح لحم مشوي. أو قدير: مطبوخ في القدر.

(٦) الطرف: النظر. القصور: المعجز. الترقى: الارتقاء. تسفل: تنظر إلى أسافله.

- كأن دماء الهاديات بنخره
 عُصارة حناء بثيب مُرجل^(١)
 وبات عليه سرجه ولجامه
 وبات بعيني قائماً غير مُرسل^(٢)
 أصاح ترى برقاً أريك وميضه
 كلمع اليدين في حبي مكلل^(٣)
 يضيء سنه أو مصابيح راهب
 أهان السليط في الذبال المفتل^(٤)
 قعدت وأصحابي له بين ضارج
 وبين العذيب بُعد ما متأملي^(٥)
 علا قطناً بالشيم أيمن صوه
 وآيسره على الستار فيذبل^(٦)

(١) الهاديات : أوائل البقر الوحشية التي صادها . - عصارة حناء : يعني أن ماء الحناء في الشعر الشائب كالدم في نحره .

(٢) بات بعيني : بحيث أراه مسرجاً ملجماً ، قائماً بين يدي غير مرسل إلى المرعى .

(٣) أصاح : يا صاحبي . أريك وميضه : أبصرك لمعانه . حبي مكلل : محاب متراكم .

(٤) سنه : ضوءه . مصابيح راهب : سرجه وقناديله . أهان السليط : أكثر من الزيت . الذبال : الفتيلة .

(٥) قعدت وأصحابي : لهذا البرق أنظر إليه . ضارج : ماء بارض طيء . العذيب : ماء قريب منه .

(٦) قطن والستار ويذبل : أسماء جبال . بالشيم : بالنظر إلى البرق . صوه : مطره .

وأضحى يَسْحُ الماء عن كل فَيْقَةٍ
 يَكْبُ على الأذقان دَوَحَ الكنهل^(١)
 كأن مكاسي الجواء غُدِيَّة
 صُبْحَنَ سُلَافاً من رحيق مفلفل^(٢)
 ومرَّ على القنَّان من نفيانه
 فأنزل منه العَصَم من كل موئل^(٣)
 وتيماء لم يترك بها جذع نخلة
 ولا أطمأ إلا مشيداً بجندل^(٤)
 كأن أباناً في أفانين وذوقه
 كبير أناس في بجاد مزمل^(٥)
 كأن ذرى رأس المجيمر غُدوة
 من السيل والأغشاء فلكة مغزل^(٦)

(١) يسح : يصب . الذقن : مجتمع اللحيتين . الدوحة : الشجرة العظيمة .
الكنهل : ضرب من شجر البادية .

(٢) المكاسي : نوع من الطير . الجواء : موضع بنجد . سلاف الرحيق : عصارة
الخمير الصافية .

(٣) مر على القنَّان : مرَّ هذا السحاب على جبل القنَّان في بلاد بني أسد بن
خزيمة . من نفيانه : ما نفى من قطره . العَصَم : الأوعال . من كل موئل : من
أماكنها . الشامخة الحصينة المعتمصة بها في أعالي الجبال .

(٤) تيماء : مدينة في الحجاز . الأطم : الحصن . المشيد بجندل : مبني بالحجارة

(٥) أبان : اسم جبل : البجاد : الكساء المخطط . مزمل : ملفت .

(٦) المجيمر : جبل . الأغشاء : ما يحمله السيل من بقايا الأشياء .

كَأَنَّ سِبَاعاً فِيهِ غُرُقَى عَشِيَّة
بَارِجَاتِهِ الْقُصُوى أَنَابِيشُ عُنْصَل^(١)
وَأَلْقَى بِصُخْرَاءِ الْغَبِيطِ بَعَاعَهُ
نُزُولُ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمَحْمَلِ^(٢)

تعتبر معلقة امرئ القيس من المملقات المهمة في تاريخنا الأدبي . وهي نموذج صادق لفترة العصر الجاهلي الذي نشأت فيه المملقات ، والتي اعتبرت وثيقة صادقة تشمل كل وجوه الحياة الثقافية فيها والاجتماعية ، الفكرية والفنية . وبما أن الشعر « كان ديوان العرب والمنظوم من كلامها والمقيّد لأيامها والشاهد على حكامها » . فإنه بالنسبة لنا صفحة معرفة ، نحاول من خلالها التعرف على فكر قوم أسسوا وبنوا هذا التراث . والحكم على ما وصلنا لا يكون إلا بالرجوع إلى البيئة والزمن الذي عاش فيه الشاعر .

والحقيقة إن دراسة المعلقة ، معلقة - امرئ القيس - ، بشكل منفرد كان واجباً أدبياً ، لأننا رأينا فيها صورة عامة عن ملامح العصر والبيئة ، وعن الصفات الفنية والمعنوية التي تتحكم بالشعر الجاهلي . وشيء آخر دفعنا لهذا العمل ، هو أن المعلقة تشمل

(١) أنابيش عنصل : أصول العنصل ، وهو البصل البري .

(٢) صخرَاء الغبيط : الحزن من الأرض . بعاعه : نقله . ذي العياب : صاحب الأعدال المملوءة ثياباً ويزراً .

معظم الأغراض الشعرية التي أتينا عليها في دراستنا، وكذلك تشبه إلى حد كبير معظم ما وصلنا من نتاج الشعراء الجاهليين. لهذه الأسباب أفردنا الجزء الأخير من الدراسة للمعلقة، لنرى النظام والمعاني والموضوعات التي حملتها، ولو بشكل موجز.

وأول ما يلفت نظر الباحث في الشعر الجاهلي، نظام القصيدة الذي أصبح سُنّة وقانوناً لدى معظم الشعراء الجاهليين من:

١ - الوقوف على الأطلال: سِمة من سِمات الشعر الجاهلي، وتقليداً ينذر من يشذ عنه. بل إنه فرض نفسه على العصر العباسي حيث لا دمن ولا أطلال. وقد حملت لنا الروايات أن امرأ القيس هو «أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى، وذكر الديار والحبيبة». وبرز المقطع الطللي في بداية القصيدة، إذ يذكر الأماكن التي ارتادتها الحبيبة، وأصبحت في اللحظة ملعباً للريح، وفسحة للذكريات. ويبدأ وكأنّ عاصفة من الوجد اجتاحت مسام حياته، طالباً من صديقين معه بالوقوف، ليذرف الدمع على تلك الديار الخالية إلّا من بعض الآثار المتروكة للريح وللزمن.

٢ - ذكر الحبيبة: يوقد رأينا أنّ الحبيبة عنده هي أشبه بحلم، خاصة في فترة حياته الأولى، التي عاش فيها الملذات واللهو، وعدم المسؤولية. وربما تكون أسماء الحبيبات الكثيرات عنده، صفة لموصوف واحد، كي يبعد الأنظار عن المعنى المقصود، خوفاً من غضب العشيرة.

٣ - الغزل : إذ تناول كل جميل في المرأة ، وساقه إلينا بشكل يوحي بأنه ملتهب الشعور تجاه حبيبته ؛ ويمثل هذا حادثة دارة جلجل التي أتينا على ذكرها في ثنايا البحث والدراسة .

٤ - السرد القصصي : وتبرز هذه السمة في مجمل المعلقة ، سواء في وصف الطلول ، أو في ذكر اليوم الصالح ، أو في دخول الشاعر خدر عزيزة ، أو في مغامراته الغرامية التي لا حد لها ولا حصر . ويعبر عنه بشكل حوار منظم « قفا نبك . . يقولون لا تهلك . . فقالت : لك الوليات . . تقول وقد مال الغبيط . . أفاطم مهلاً . . فقالت : عين الله » .

٥ - التصوير المادي : يقال إن الشاعر ابن بيته . وهذا صحيح ، خاصة إذا تمثلنا الشعر الجاهلي . فالبيئة المادية إلغاسية كانت تفرض نفسها بكل جزئياتها على الشاعر . وسرعة الحركة والتنقل ، وكثرة الحروب والأيام والغزوات ، طبعت الشاعر بتلك الصفة المادية ، وأبعدته عن الشمول والتفكير بالكليات العامة . فكانت أشعاره صورة أمينة للواقع المعاش ولذا كان التصوير المادي هو الغالب على الشعر الجاهلي . ويبرز في المعلقة بوصف الأطلال التي لم يعف رسمها تحديد الأمكنة بدقة ، وقوف الشاعر أمام الأشجار كناقف الحنظل ، دموع العين وقد فاضت على النحر حتى بللت محمل السيف ، العذارى المرتميات في اللحم أو الشحم . . الخ . .

٦ - الوصف :

أ - الليل .

ب - الرحلة والأمكنة التي مرَّ بها .

ج - الحيوانات البرية .

د - الصيد .

هـ - الحصان ، أو الفرس ، أو الناقة .

و - نهاية الرحلة وحلقات الشواء .

٧ - الدقة في استعمال المفردات : لقد أتى بالمفردات الدالة

المعبرة . وإن لفظ - نسجتها - خير ما يمكن أن يعبر عن حركة
الريح التي تهب تارة من الشمال إلى الجنوب وأخرى من الجنوب
إلى الشمال . وكذلك لفظة - يرتمين - في قوله « فظل العذارى
يرتمين بلحمها » تدل على مدى غبطة الفتيات وانصرافهن إلى
الطعام وإلى مهاداته بينهن . وقد أخذنا هاتين اللفظتين لتبيان الدقة
في استعمال المفردات كمثال فقط ، مع العلم أن كل ما استعمل
دال ، وواضح .

٨ - كثرة التشابيه المادية : فشحم الناقة كهذاب الدمقس

المقتل . وترائب الحبيبة كالسجنجل ، وضياء وجهها كنور مصباح
الراهب ، والحصان كجلمود صخر حطه السيل من عل ، وثغرها
كالأقحوان . وكل هذه التشابيه حسية ومادية ، مأخوذة من بيئة ألقت
بكلكلها على فن القول عند الشاعر ، وجعلته يصورها بأبهى ما
يكون .

ومثل ذلك نرى الاستعارات، والكنايات. فالاستعارة المادية بارزة في قوله مثلاً حينما استعار - الهمين - لعيني الحبيبة. والأعشار للقلب المنكسر. والتكنية نبؤوم الضحى عن غناها وتنعمها.

والملاحظ أن امرأ القيس لم يكن يسرف في الصناعة. ولم يتكلف المعاني ولا الصور ولا التعابير. وإنما كانت الطبيعة والسليقة والواقع رواداً له وميزة في شعره. أضف إلى ذلك السهولة في نظمه وقوله وإنشاده. وإذا كان هنالك من صعوبة في فهم بعض الأشعار فمرد ذلك إلى الألفاظ التي كانت شائعة ومفهومة في العصر الجاهلي، ولم تعد اليوم متداولة.

٩ - تفكك القصيدة: أو انعدام الوحدة: فهي لوحات متعددة الصور والموضوعات، وكل واحدة مستقلة بمعناها عن الأخرى، أما التفكك في الأبيات واضح وجلي إذ نستطيع التقديم والتأخير في الأبيات من دون أن يتغير المعنى، ومن دون أن يحدث أي خلل في بناء القصيدة. ويُفسرُ ذلك بضعف الثقافة عند الجاهليين، وشيوع الفطرة والبداهة في جميع مجالات الحياة عندهم. والمعروف أن البدوي في تلك المرحلة لم يعرف البناء، والحياة الاجتماعية، والاستقرار النفسي والاجتماعي والعمراني، لذلك لم يستطع أن يعطي ويبنى قصيدة متماسكة.

في هذه المعلقة نقف أمام صورة - أو صور - لبيئة الحياة

الجاهلية فيها الدلالة على حياة بدوية سريعة الانتقال، لا تعرف الاستقرار لحظة. ويتم الترحال في صحراء قاسية واسعة الأطراف والمرامي، مهجورة ترتع فيها غزلان وظباء ووحوش، ويمرح فيها شذاذ وقتلة وصعاليك. فحياته، انتقال، وخوف دائمين.

وكلمة أخيرة هي أن امرأ القيس سبق الشعراء إلى أشياء ابتدعها حازت الرضا والاستحسان. وخط للشعراء سُنَّة ساروا من بعده عليها منها: الوقوف على الأطلال، والبكاء على الديار، والآثار الباقية، والغزل الرقيق، والنسيب اللطيف، والتشبيه الجميل، والكناية الحسنة والوصف المبدع. مما جعله أجود الشعراء فيما طرقة من أبواب وابتكره من سنن، وابتدعه من المعاني.

نماذج من شعر امرئ القيس

قال امرؤ القيس يصف الوحش وصيده له :

غَشِيتُ دِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَكَرَاتِ
فَعَارِمَةٌ فَبُرْقَةٌ الْعَيْرَاتِ^(١)
فَقَوْلُ فَحْلِيَتْ فَأَكْنَفَ مَنَعِجِ
إِلَى عَنَاقِلِ فَالْجُبَّ ذِي الْأَمَرَاتِ^(٢)
أَرْنِ عَلَيَّ حُقْبَ حِيَالِ طَرَوْه
كَذَوْدِ الْأَجِيرِ الْأَرْبَعِ الْأَشْرَاتِ^(٣)

(١) غشيت : نزلت . البكرات : جمع بكرة ، وهي مياه لبني ذؤيبة من الضباب عندها جبال عالية يقال لها البكرات . عارمة : مياه لبني تميم . العيرات : الحمر الوحشية .

(٢) غول : ماء للضباب بجوف طخفة . حليت : معدن عند جبال ضرية فيه ذهب .
الأمرات : العلامات .

(٣) أرْنِ : نعق . الحقب : الآنن الوحشية . الأشرات : القويات ، النشاطات .

عنيف كتجميع الضرائر فاحش
 شتيم كذلق الزُّجّ ذي ذمرات^(١)
 ويسأكلن بُهمى جمعة حبشية
 ويشربن برد الماء في السبرات^(٢)
 فأوردها ماء قليلاً أنيسهُ
 يُحاذرنَ عُمراً صاحبَ القُترات^(٣)
 تلتُ الحمى لتأ بسُمر رزينة
 موازن لا كُزم ولا معرات^(٤)
 ويرخين أذناباً كأن فروعها
 عُرى خلل مشهورة صفرات^(٥)
 وعنس كألواح الإران نسأتها
 على لاحب كالبرد ذي الحبرات^(٦)

(١) فاحش: متجاوز الحد في عنفه. شتيم: كربه المنظر. ذو ذمرات: صاحب زجر بشدة.

(٢) البهمى: نبت. جمعة: ندية. حبشية: شديدة الخضرة. السبرات: الغدوات الباردة.

(٣) عمرو: هو ابن الشيخ الثعلبي، وكان من أرمى العرب. القترات: جمع قتر: وهوبيت الصائد الذي يختفي فيه لتلا يراه الوحش فينفر منه.

(٤) تلت الحمى لتأ: تسحقه وتخلطه. السمر: يريد بها الحوافر. رزينة: ثقيلة. لا كُزم: غير قصار. ولا معرات: ولا معروط شعورهن.

(٥) يرخين: يسبلن. صفرات: مجدولات.

(٦) عنس: ناقة قوية. الإران: خشب صلب. نسأتها: زجرتها. الاحب: الطريق. البرد ذو الحبرات: الثياب اليمنية الموشاة.

فغادرتُها مِنْ بَعْدَ بَدَنِ رَوِيَّةَ
 تَغَالَى عَلَى عُوجِ لَهَا كَدَنَاتٍ ^(١)
 وَأَبْيَضَ كَالْمَخْرَاقِ بَلَّيْتُ حَدَّهُ
 وَهَبْتُهُ فِي السَّاقِ وَالْقَصَصَاتِ ^(٢)
 وَقَالَ امْرؤُ الْقَيْسِ وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ أَهْلِهِ وَدِيَارِهِ:

أَلَا أَبْلُغُ بَنِي حُجْرٍ بَنَ عُمُرُو
 وَأَبْلُغُ ذَلِكَ الْحَيَّ الْجَدِيدَ ^(٣)
 بَأَنِّي قَدْ هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ
 بَعِيداً عَنْ دِيَارِكُمْ بَعِيداً ^(٤)
 وَلَوْ أَنِّي هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمِي
 لَقُلْتُ الْمَوْتُ حَقٌّ لَا خُلُوداً ^(٥)
 أَعَالِجُ مُلْكَكَ قَيْصَرَ كُلِّ يَوْمٍ
 وَأَجْدُرُ بِالْمَنْيَةِ أَنْ تَقُوداً ^(٦)

(١) البدن : السمة . روية : هزيلة . العوج : يريد بها قوائمها . كدندات : غلاظ قوية .

(٢) أبيض : السيف . المخراق : المنديل . القصاصات : الأعناق .

(٣) بنو حجر : قوم امرئ القيس ورهطه الأدينين . الجديد : المقطوع ، ويروى الحديد ، وهو القوي الشديد .

(٤) هلك : يريد هنا أوشكت على الهلاك .

(٥) يعني لو كان هلاكه بين أهله لآمن بأن الموت حق ، وإن لا خلود في الحياة . على أنه لا بقاء ولا خلود سواء أكان بين أهله أم كان بعيداً عنهم .

(٦) أعالج : أحاول وأطلب . أجدر : أولى . أن تقود : أن تذهب بي إلى حيث المصير الذي صار إليه آبائي وأجدادي .

بأَرْضِ الرُّومِ لَا نَسَبُ قَرِيبُ
 وَلَا شَافَ فَيَسْنَدُ أَوْ يَعُودُ^(١)
 وَلَوْ صَادَفَتْهُنَّ عَلَى أَسْبَسِ
 وَحَاقَةَ إِذْ وَرَدَّنَا بِنَا وَرُودُ^(٢)
 عَلَى قُلُوصٍ تَظَلُّ مُقَلَّدَاتِ
 أَزْمَتُهُنَّ مَا يَعْدُقْنَ عُودُ^(٣)

وقال امرؤ القيس في وصف الغيث:

دِيْمَةٌ هَظْلَاءُ فِيهَا وَطْفُ
 طَبَقِ الْأَرْضِ تَجْرِي وَتَدُرُ^(٤)
 تُخْرِجُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَشْحَذَتْ
 وَتُوَارِيهِ إِذَا مَا تَشْتَكِرُ^(٥)
 وَتَرَى الضُّبَّ خَفِيفاً مَاهِراً
 ثَانِياً بُرْثَنَهُ مَا يَنْعَفِرُ^(٦)

(١) ويروى: بأرض الشام. يعني لا قريب له يساعده في شأنه وأحواله. ولا طيب يعود ويشفيه مما ألم به.

(٢) ولو صادفتهم: يريد النوق. أسبس وحاقة: موضعان بالشام.

(٣) القلوص: جمع قلووص، وهي الناقة الشابة. ما يعدقن: ما يجمعن.

(٤) الديمة: المطر. الهظلاء: الغزيرة. وطف: استرخاء. طبق الأرض: نعم الأرض. تجري: تقصد. تدر: تصب الماء.

(٥) أشحذت: كفت وأقلعت. تشكر: تحتفل بالماء، ويكثر فيها.

(٦) ماهر: حاذق بالسباحة. برثنه، وينعفر: يلصق بالتراب.

وترى الشجرَاء في رَيْقِهَا
كَرُؤوسٍ قُطِعَتْ فِيهَا الْخَمْرُ^(١)
سَاعَةً ثُمَّ انْتَحَاهَا وَابِلٌ
سَاقِطٌ الْأَكْنَافِ وَاهٍ مِنْهُمْزُ^(٢)
رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى
فِيهِ شُؤْبُوبٌ جَنُوبٌ مَنفَجِرُ^(٣)
ثُجٌّ حَتَّى ضَاقَ عَنْ أَذْيِهِ
عَرَضَ خِيَمٍ فَخَفَافٌ فَيُسْرُ^(٤)
قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ
لَا حَقَّ الْإِيْطَلُ مَحْبُوكٌ مَمْرُ^(٥)

وقال امرؤ القيس حين رأى امرأة تدفن إلى سفح عسيب الذي
مات عنده:

أَجَارَتْنَا إِنْ الْخَطُوبَ تَنْوِبُ
وَإِنِّي مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ^(٦)

(١) الشجرَاء: الغابة، الشجر الملتف. ريقها: استهلال المطر.
(٢) انتحاه: اعتمدها وقصدها. الوابل: المطر الشديد. الأكفاف: النواحي. واه: مسترخ.

(٣) الشؤبوب: مطر ريح الجنوب. منفجر: سائل بغزارة.
(٤) ثج: صب. أذيه: موجه. عرض: سعة. خيم وخفاف ويسر: أسماء أماكن.
(٥) لاحق الأيطل: ضامر الخصر، يعني فرسه. محبوك: قوي. ممر: معتدل الخلق، مفتول العضل.

(٦) ذكر السيوطي أنه رأى في كتاب مقاتل الفرسان لأبي عبيد، أن صخر بن عمرو أخ الخنساء لما أدركه الموت قال:

أجارتنا إنا غريبان مَهْنَا
وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ^(١)
فإن تَصْلِينَا فَالْقَرَابَةُ بَيْنَنَا
وإن تَضْرَمِينَا فَالْقَرِيبُ غَرِيبٌ
أجارتنا ما فات ليس يؤوبُ
وما هَوَاتٍ فِي الزَّمانِ قَرِيبٌ^(٢)
وليس غريباً مَنْ تَنَاءَتْ دِيَارُهُ
ولكن مَنْ وَارَى التُّرابَ غَرِيبٌ^(٣)

وقال امرؤ القيس يتوجع من مرضه بأرض الروم :

أَلَمَّا عَلَى الرَّبِيعِ الْقَدِيمِ بَسَّغَسَا
كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلِّمُ أُخْرَسَا^(٤)

= أجارتنا إن الخطوب تنوب
علينا وكل المخطئين مصيب
أجارتنا لست الغداة بظاعن
وإني مقيم ما أقام عسيب

ومات ودفن بقرب - عسيب - قال فلعلهما تواردا، قلت : إذا صح أن
صخراً دفن بسفع عسيب، فلعله تمثل بقول امرئ القيس مع بعض تغير في
الألفاظ . وعسيب، اسم جبل قريب من أنقرة . والذي نعرفه أن صخراً مات
هناك .

(١) يعني أن الغريب نسيب للغريب لأن الغربة تجمع بينهما .

(٢) ليس يؤوب : لن يعود .

(٣) تناءت : تباعدت . ولكن من يموت ويدفن تحت التراب هو الغريب .

(٤) أَلَمَّا : ميلاً وانزلاً . عَسَسَ : موضع بالبادية .

فلو أن أهل الدار فيها كعهدنا
 وجذت مقيلاً عندهم ومعرساً (١)
 فلا تنكروني إنني أنا ذاكم
 ليالي حل الحي غولاً فأنعسا (٢)
 تأوبني دائي القديم فغلّسا
 أحاذر أن يرتدّ دائي فأنكسا (٣)
 فإما تريني لا أغمض ساعة
 من الليل إلا أن أكب فأنعسا (٤)
 فيا ربّ مكروب كررت وراءه
 وطاعت عنه الخيل حتى تنفسا (٥)
 ويا ربّ يومٍ قد أروح مُرجلاً
 حبساً إلى البيض الكواعب أملسا (٦)
 يُرغن إلى صوتي إذا ما سمعته
 كما ترعوي عيطاً إلى صوت أعيسا (٧)

(١) المقيّل: المكان الذي تنزل فيه وقت القائلة في منتصف النهار. المعرس:

ضد المقيّل.

(٢) غول: جبل في حضنه واد فيه نخيل وعيون للضبّاب. العس: جبل في ديار بني عامر.

(٣) تأوبني: أتاني. أحاذر: أخشى، من الحذر: الخشية.

(٤) أكب: يأخذني شبه نوم فيحني رأسي فأنعس.

(٥) مكروب: الواقع في كربة لا يقوى فيها على الخلاص. كررت: حملت واندفعت.

(٦) مرجلاً: مسرح الشعر. أملس: لم يثبت عارضاه.

(٧) يرغن: يخفن. العيط: جمع عيطاء وهي الناقة هنا.

أَرَاهُنْ لَا يَخْبَبْنَ مِنْ قَلِّ مَالِهِ
 وَلَا مِنْ رَأْيِنِ الشَّيْبِ فِيهِ وَقُوسًا^(١)
 فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً
 وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا^(٢)
 وَلَوْ أَنَّ نَوْمًا يَشْتَرِي لَاشْتَرَيْتَهُ
 قَلِيلًا كَتَغْمِيزِ الْقَطَا حَيْثُ عَرَسًا^(٣)
 وَبُدِّلْتُ قَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صَحَةٍ
 فَيَالِكَ مِنْ نَعْمَى تَحُولَنَّ أَبُوسَا^(٤)

كَانَ بَيْنَ امْرِئِ الْقَيْسِ وَبَيْنَ سَبِيعَ بْنِ عَوْفٍ أَحَدِ بَنِي طَهْبَةَ
 وَشَيْجَةِ قَرْبَى، فَتَزَلَّ عَلَيْهِ سَبِيعٌ، وَسَأَلَهُ فَلَمْ يَعْطِهِ شَيْئًا، فَذَمَّهُ
 سَبِيعٌ، وَرَدَّ عَلَيْهِ امْرَأُ الْقَيْسِ مَفْتَخَرًا.

أَبْلَغُ سُبَيْعًا إِنْ عَرَضْتَ رِسَالَةً
 إِنِّي كَهَمُّكَ إِنْ عَشَوْتُ أَحَامَ^(١)

(١) أَرَاهُنْ: يَعْنِي النِّسَاءَ. قَوْسٌ: انْحَنَى ظَهْرُهُ لِكِبَرِ سِنِهِ.

(٢) فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ: يَرِيدُ نَفْسَهُ. تَمُوتُ جَمِيعَةً: مَرَّةً وَاحِدَةً.

(٣) الْقَطَا لَا يَنَامُ إِلَّا غَرَارًا. لِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَوْلَا الْمَزْعَجَاتُ مِنَ اللَّيَالِي

لَمَا تَرَكَ الْقَطَا طَيْبَ الْمَنَامِ

(٤) وَبُدِّلْتُ قَرْحًا: الْبَسْتُ نَزْفًا وَجُرُوحًا نَتِيجَةً مَا أَلْبَسَهُ مَلِكُ الرُّومِ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ تِلْكَ الْحَلَّةَ الْمَسْمُومَةَ الَّتِي لَبَسَهَا، كَانَتْ السَّبَبَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي
 يَشْبَهُ الْجَدْرِي.

(٥) هُوَ سَبِيعُ بْنُ عَوْفٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ الطَّهَوِيِّ. كَهَمُّكَ: كَحَالِكَ. عَشَوْتُ:
 نَظَرْتُ نَظْرًا ضَعِيفًا. أَحَامَ: أَدَافَعُ.

فاقصر إليك من الوعيد فلإني
 ممّا ألاقى لا أشدّ جزامي^(١)
 وأنزلَ البطلَ الكريه نزالُهُ
 وإذا أناضِلْ لا تطيشُ سهامي^(٢)
 وأنا المنبّه بَعْدَ ما قَدْ نَوْمُوا
 وأنا المعالِنُ صفحةَ النّوَامِ^(٣)
 وأنا الذي عرفتُ مَعْدُ فَضْلُهُ
 ونَشَذْتُ عَنْ حَجَرِ ابْنِ أُمِّ قِطَامِ^(٤)
 خالي ابنُ كبشةَ قد عَلِمْتُ مكانَهُ
 وأبو يزيدَ ورهطُهُ أعمامي^(٥)
 وإذا أذيتُ ببلدِهِ ودَعَتْهَا
 ولا أقيمُ بغيرِ دارٍ مُقَامِ^(٦)

(١) فاقصر : فامسك عليك من وعيدك . لا أشدّ حزامي : لست في حاجة إلى أن أنهيأ وأستعد لنزالٍ مثلك .

(٢) أنازل البطل : أقاتل الشجاع . أناضل : أرمي بالنبال . لا تطيش سهامي : لا تخطفني الهدف .

(٣) أنا المنبه : المزعج أعدائي وهم في نومهم . المعالِن : الذي يقابل أعداءه وجهاً لوجه .

(٤) معد : قبائل العرب من معد بن عدنان . حجر ابن أم قطام : أبوه وهكذا لقبه .

(٥) خالي ابن كبشة : يعني المهلهل بن ربيعة . أبو يزيد : كنية أحد أعمامه وهم كثر .

(٦) يعني إذا نالني أذى في بلدة تركتها إلى غيرها وحرمت على نفسي المقام بها .

ومما قاله أيضاً:

لَمَنْ طَلَّلَ بَيْنَ الْجُدِيَّةِ وَالْجَبَلِ
مَحَلٌ قَدِيمُ الْعَهْدِ طَالَتْ بِهِ الطَّيْلُ^(١)
عَفَا غَيْرَ مُرْتَادٍ وَمَرَّ كَسْرَحِبِ
وَمِنْخَفُضِ طَامٍ تَنْكَرَ وَاضْمَحَلُ^(٢)
وَزَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْهُ فَأَصْبَحَتْ
عَلَى غَيْرِ سَكَانٍ وَمَنْ سَكَنَ ارْتَحَلُ^(٣)
تَنْطَحُ بِالْأَطْلَالِ مِنْهُ مُجَلْجَلِ
أَحْمُ إِذَا أَحْمُومَتِ سَحَابُهُ انْجَلِ^(٤)
بَرِيحٍ وَبَرْقٍ لَاحٍ بَيْنَ سَحَابِ
وَرَعْدٍ إِذَا مَا هَبَّ هَاتِفُهُ هَطَلُ^(٥)
فَأَنْبَثَ فِيهِ مِنْ غَشْنُضٍ وَغَشْنُضِ
وَرَوْنَقٍ رَنْدٍ وَالصِّلَنْدَدِ وَالْأَسْلُ^(٦)

(١) الطلل: الأثر الدارس. الجدية: جبل بنجد طيء. الطيل: الأيام المتطاولة.

(٢) عفا: درس وامحت آثاره. السرحب: الفرس الطويل.

(٣) ارتحل: تحمل إلى أرض ثانية.

(٤) تنطح: يريد أن يعود تناطحت كما الكباش. أصم: أسود لامتلانه بالمطر.

احمومت: اسودت. انجل: هطل منه الماء بشدة.

(٥) هب هاتفه: ثار رعه. هطل: سح مطره بقوة.

(٦) غشنض وغشنض: ربما يكونان من أسماء النبات. رونق رند: بهاء شجر طيب

الريح. الصلندد: نبات. الأسل: نبات تتخذ منه الرماح.

وفيه القطا والبوم وابن حبوكل
وطير القطاط والبلندد والحجل^(١)
وعُنْثَلَة والخيشوان وبُرْسُلُ
وفرخ فريق والرَفْلة والرُّفل^(٢)
وفيل وأذياب وابن خويدر
وغنْسلَة فيها الخفيعان قد نزل^(٣)
وهام ومهمام وطالع أنجد
ومنجك الروقين في سيره ميل^(٤)
فلما عرفت الدار بعد توحمي
تكفكف دمعي فوق خدي وانهمل
فقلت لها يا دار سلمى ما الذي
تمتعت لا بُدلت يا دار بالبدل
لقد طال ما أضحيت قفراً ومألفاً
ومتظراً للحَيِّ من حلٍّ أو رحل^(٥)

(١) ابن حبوكل: ليس له مسمى، ولكن أم حبوكل هي الداهية. القطا: طير

معروف. بلند: أصل الحناء. الحجل: طير بري يشبه الدجاج.

(٢) العنْثَلَة: الطبع، الخيشوان: لعله ذكر الضباع. برسل: من الوحوش. الرَفْلة
والرُّفل: الطويل الشعر والذيل.

(٣) أذياب: ذئاب. ابن خويدر: الحمار الوحشي. وغنْسلَة: اسم مكان.
الخفيعان: لعله الجراد.

(٤) الهام: الصدى، وهو ضرب من الطير. وطالع أنجد: لعله حمار الوحش.

منجك الروقين: الثور الوحشي. الروقان: القران. ولعله يريد به الوعل.

(٥) مألَف: مكان الاجتماع والالفة. حل: نزل.

- وماؤى لأبكارِ حسانِ أوانس
 ورُبُّ فتى كالليثٍ مشتهرٍ بطل^(١)
 تعلّق قلبي طفلةً عَرَبِيَّةَ
 تنعمُ في الدياجِ والحلي والحلل^(٢)
 لها مقلةٌ لو نظرت بها
 إلى راهبٍ قد صام لله وابتهل^(٣)
 لأصبح مفتوناً مُعْنَى بِحُبِّهَا
 كأن لم يصم لله يوماً ولم يُصَلِّ^(٤)
 ألا رُبُّ يومٍ قد لهوت بدّلها
 إذا ما أبوها ليلة غاب أو غفل^(٥)
 فقالت لأنرابٍ لها قد رَمَيْتُهُ
 فكيف به إن مات أو كيف يحتبل^(٦)
 أخفى لنا إن كان في الليل ذَفْنُهُ
 فقلن وهل يخفى الهلال إذا أفل^(٧)

(١) الأوانس: الفتيات الحسان اللاتي يؤنسن بحديثهن. فتى كالليث: يريد به نفسه.

(٢) ويروى: تألف قلبي. طفلة: فتاة ناعمة رخصة الجسد.

(٣) ويروى: لها مقلة دهجا فلو نظرت بها وإلى عابد...

(٤) لهام بها وافتتن بحبها وترك صلاته وصيامه من أجلها.

(٥) الدل: الغنج والدلال.

(٦) الاتراب: جماعة من سن احدى. يحتبل: يقع في الحباله وهي شرك الصائد.

(٧) أفل: غاب.

قتلَبَ الفتى الكندي الشاعر الذي
 تدانت له الأشعار طُراً فيا لعل^(١)
 لمه تقتلي المشهور الفارس الذي
 يفلق هامات الرُجال بلا وجل^(٢)
 ألا يا بني كندة اقتلوا بابن عمكم
 وإلا فما أنتم قبيل ولا خول^(٣)
 قتيل بوادي الحب من غير قاتل
 ولا ميت يُعزى هناك ولا زمل^(٤)
 فتلك التي هام الفؤاد بحبها
 مهفهفة بيضاء درية القبل^(٥)
 ولي ولها في الناس قول وسمعة
 ولي ولها في كل ناحية مثل^(٦)
 كأن على أسنانها بَعْدَ هَجَعَةٍ
 سفرجل أو تفاح في القند والعسل^(٧)

(١) تدانت : تقاربت . فيا لعل : دعاء بالنجاة .

(٢) بلا وجل : بلا خوف .

(٣) خول : أتباع وأنصار .

(٤) زمل : رفاق وأصدقاء .

(٥) مهفهفة : لطيفة غير سميئة . درية القبل : كان مكان التقيل منها - وهو الثغر - در منظوم .

(٦) يعني شهرتهما بين الناس ، وسيرتهما أصبحت كالمثل السائر بين الناس .

(٧) القند : عصير قصب السكر .

حجازية العينين مَكِّيَّة الحشا
 عراقية الأطراف رُومِيَّة الكفل^(١)
 بهامية الأبدان عبيَّة اللَّمى
 خُزاعِيَّة الأسنان دُرِيَّة القبل^(٢)
 وقلت لها أي القبائل تنسبي
 لعلِّي بين الناس في الشعر كي أسل^(٣)
 فقالت: أنا كندية عَرَبِيَّة
 فقلت لها: حاشا وكلّا وهل وبِل^(٤)
 فقالت: أنا رومِيَّة عجمِيَّة
 فقلت لها: ورخيز بياخوش من قزل^(٥)
 فلما تلاقينا وَجَدْتُ بنانها
 مخضبة تحكي الشواعل بالشعل^(٦)
 فقبلتها تسعاً وتسعين قُبلة
 وواحدة أيضاً وكنتُ على عجل^(٧)
 وعانقتها حتى تَقَطَّع عِقْدُها
 وحتى فَصُوصُ الطوقِ مِنْ جِيدِها انفصل^(٨)

(١) يعني أن مزاياء حبيته تعود إلى نسب حجازي .

(٢) اللَّمى : حمرة في الشفاه مع ميل إلى السواد .

(٣) (٤) يزيد من النسب العربي لحبيته .

(٥) رخيز بياخوش : كلمتان روميتان لم يتبين معناهما .

(٦) (٧) (٨) أبيات مفهومة المعنى كلها في وصف الحبيبة .

كَأَنَّ فصوصَ الطوق لما تناثرت
ضياء مصابيح تطايرن عن شُعْل
وآخرُ قولِي مثلما قُلْتُ أولاً
لَمَنْ طَلَّلَ بينَ الجديّة والجبل

فهرس المراجع المعتمدة

- ١ - ديوان امريء القيس - جماعة من الأدباء . دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٩٨٣ .
- ٢ - شرح المعلقات العشر - د . مفيد قميحة - دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٩٨٧ .
- ٣ - د . علي الجندي - تاريخ الأدب الجاهلي . ط ١ - مكتبة الجامعة العربية - بيروت ١٩٦٦ .
- ٤ - د . شوقي ضيف - العصر الجاهلي ، ط ٦ - دار المعارف بمصر ١٩٦٠ .
- ٥ - محمد بن سلام الجمحي : طبقات الشعراء ط ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٢ .
- ٦ - ابن قتيبة - الشعر والشعراء - ط ٢ . تحقيق د . مفيد قميحة - دار الكتب العلمية - ١٩٨٥ .
- ٧ - لويس شيخو - شعراء النصرانية - بيروت ١٨٩٠ .
- ٨ - الأغاني ج ٩ . دار الكتب . القاهرة .

- ٩ - الهمذاني - صفة جزيرة العرب - بريل ١٨٨٤ .
- ١٠ - تاريخ اليعقوبي ، ج ١ - دار صادر - بيروت ١٩٦٠ .
- ١١ - تاريخ ابن خلدون - المقدمة - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٥٦ .
- ١٢ - الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٤٨ .
- ١٣ - بروكلمان - تاريخ الأدب العربي - ج ١ - ت د . عبد الحليم النجار - دار المعارف القاهرة ١٩٥٩ .
- ١٤ - د . علي الجندي - مصادر الشعر الجاهلي ج ١ .
- ١٥ - سليم الجندي ، امرؤ القيس - دمشق ١٩٣٦ .
- ١٦ - معجم الشعراء للمرزباني - نشر كرنو .
- ١٧ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد - بولاق ١٢٩٣ هـ .

الفهرس

الفهرس

٣	المقدمة
٥	العصر الجاهلي
١٣	أسواق العرب
١٧	حياة امرئ القيس
٣٦	السيرة الأدبية
٤١	السيرة الشخصية
٤٥	أغراضه الشعرية
٧٩	الطبيعة في شعره
٨٦	الفخر عند امرئ القيس
٨٩	المدح والذم في شعر امرئ القيس
٩٢	الشكوى والتحسر في شعر امرئ القيس
١٠٠	أسلوبه وخصائصه العامة
١١١	المعلقة
١٣١	نماذج من شعر امرئ القيس
١٤٧	فهرس المراجع المعتملة
١٥١	الفهرس

